


إبداعات عالمية

قصص

إيتالو كالڤينو وليم فوكنر هاينريش بول إلسي ايشنجر خوليو كورتزار خورخي لويس بورخس روث جهابفالا جرترود فاسنجر أو. هنري لويجي بيرانديللو بيتر تيللر ف. سكوت. فيتزجرالد ريموند كارفر في. س. نيبول ناديت غورديمر كاثرين مانسفيلد

آدم ذات ظهيرة



ترجمة

الياس فركوح و مؤنس الرزاز



آدم ذات ظهيرة

رقم الإيداع : (١٩٨٦/٥/١٩٢)
*ـ تمت فهرسة هذا الكتاب بمعرفة جمعية المكتبات الأردنية وبموافقتها رقم
(ج م أ) ١٩٨٦/٦/٣

رقم الإجازة المتسلسل : ١٩٨٦/٥/١٦٨

□ آدم ذات ظهيرة : كتّاب مختلفون
□ الطبعة الأولى : منارات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٩
□ الإصدار الثاني: أزمنة® ١٩٩٩

أزمنة للنشر والتوزيع
تلفاكس : ٥٥٢٢٥٤٤
ص.ب : ٩٥٠٢٥٢
عمّان ١١١٩٥ الأردن شارع وادي صقرة، عمارة الدوحة، ط ٤

لوحة الغلاف: بابلو بيكاسو
تصميم الغلاف : أزمنة (الياس فركوح)
فرز وسحب الأفلام: الشروق
الطباعة: مطبعة الشرق الأوسط
تاريخ الصدور : آذار ١٩٩٩




ابداعات عالمية

قصص

إيتالو كالفينو وليم فوكنر هاينريش بول إلسي ايشنجر خوليو كورتزار خورخي لويس بورخس روث جهابفالا جرترود فاسنجر أو . هنري لويجي بيرانديللو بيتر تيللر ف.سكوت.فيتزجرالد ريموند كارفر في.س.نيبول نادين غورديمر كاثرين مانسفيلد

آدم ذات ظهيرة

ترجمة

الياس فركوح و مؤنس الرزاز



ترجم الياس فركوح للكتّاب:

- إيتالو كالفينو
- هاينريش بول
- إلسي إيشنجر
- روث جهابفالا
- جرترود ڤاسنجر
- ف.سكوت. فيتزجيرالد
- نادين غورديمر

ترجم مؤنس الرزّاز للكتّاب:

- وليم فوكنر
- خوليو كورتاثار
- خورخي لويس بورخيس
- أو. هنري
- لويجي بيرانديللو
- بيتر تيللر
- ريموند كارفر
- ف. س. نيبول
- كاثرين مانسفيلد

المحتــــوى

إيتالو كالفينو ITALO CALVINO

- ولد إيتالو كالفينو في كوبا عام ١٩٢٣، وترعرع في سان ريمو، ايطاليا.
- عرف عنه انه كاتب مقالات وصحفي، بالاضافة الى كونه روائياً. كما انه عضو في هيئة تحرير مؤسسة للنشر في «تورين» تدعى جيوليو انيودي.
- كتب عدة روايات، منها: «قصر المصائر المتقاطعة» و«مدن الخيال» و«أسلافنا» و«اذا في ليلة ماطرة أن مسافرا ...» و«ت صفر» و«ماركو فالدو»، . . الخ.
- حصل عام ١٩٧٣ على جائز التقدير الادبية الايطالية «بريميو فلترينالل».
- توفي عام ١٩٨٥.

آدم، ذات ظهيرة ADAM ONE AFTERNOON

من كتاب: ADAM ONE AFTERNOON
PICADOR. Pan Books. 1984.

ايتالو كالفينو

آدم ، ذات ظهيرة

كان لصبي البستاني الجديد شعر طويل عملٍ على ضبطه بقطعة قماش ربطها حول رأسه وثبتها بعقدة صغيرة. كان يمشي في الممر حاملاً وعاء السقاية الطافح، وبيده الأخرى يسنده ليوازن حمله. سقى الكبوسين* ببطء، وبحذر، وكأنه يسكب قهوة وحليباً، حتى تفككت التربة عند ساق كل نبتة، واستحالت الى بقعة ناعمة سوداء. يرفع وعاء السقاية عندما تكبر وتتخضل بما فيه الكفاية، وينتقل نحو النبتة التالية. كانت ماريا ـ نانزياتا تراقبه من نافذة المطبخ، وتفكر كم هو لطيف وهادىء عمل البستنة. كان شاباً يافعاً، لاحظت، ومع ذلك فانه ما يزال يرتدي سروالاً قصيراً، كما ان ذاك الشعر الطويل جعله يبدو مثل فتاة. توقفت عن غسل الأطباق ونقرت على النافذة.

« أنت ، يا ولد » . نادت .

رفع صبي البستاني رأسه. أبصر ماريا ـ نانزياتا وابتسم. ضحكت بسبب من انها لم يسبق لها أن رأت صبياً بشعر طويل كهذا، وعقدة على رأسه. دعاها صبي البستاني بيده، واستمرت ماريا ـ نانزياتا بالضحك على الايماءة التي قام بها. راحت تومىء بالمقابل لتشرح له أن عليها أن تغسل الأطباق. لكن الصبي عاود الايماء، وأشار الى أصص الأضاليا بيده الثانية. لماذا أشار الى تلك الأضاليا؟ فتحت ماريا ـ نانزياتا النافذة وأخرجت رأسها.

« ماذا بك؟». سألت ، وعادت للضحك مرة اخرى .

« أتريدين رؤية شيء جميل؟» .

« وما هو ؟ » .

---

* Nasturtium الكبوسين ، أبو خنجر ـ المورد ـ .

« شيء لطيف . تعالى لتري . بسرعة » .
« أخبرني ما هو » .
« سأعطيه لك . سأعطيك شيئاً لطيفاً جداً » .
« لكن عليّ غسل الأطباق ، وستأتي السنيورة ولن تجدني » .
« هل تريدينه أم لا ؟ تعالي ، الآن » .
« انتظر لحظة » . قالت ماريا ـ نانزياتا ، وأغلقت النافذة .

عندما خرجت عبر باب المطبخ كان صبي البستاني ما يزال هناك ، يسقي نبتة الكبوسين .

« مرحباً » . قالت ماريا ـ نانزياتا .

تبدو ماريا ـ نانزياتا أطول مما هي عليه بسبب حذائها مرتفع الكعب ، والذي من الخسارة أن تنتعله بينما تشتغل ؛ لكنها كانت تحب ان تفعل هذا . بدا وجهها الصغير مثلما طفل وسط شعرها الأسود المجعد ، كما ان قدميها كانتا نحيلتين وطفوليتين أيضاً ، وكذلك جسمها ، تحت ثنيات وزرتها ، مدوراً ومكتنزاً . كانت دائمة الضحك : إما بسبب كلام الآخرين أو كلامها هي .

« مرحباً » . قال صبي البستاني . كانت بشرة وجهه ، ورقبته ، وصدره ، بنيّة غامقة ؛ ربما لأنه نصف عار دائماً ، كما هو الآن .

« ما اسمك؟ » . سألت ماريا ـ نانزياتا .
« ليبيرسو » . قال صبي البستاني .
ضحكت ماريا ـ نانزياتا ورددت : «ليبيرسو . يا للاسم الطريف ، ليبيرسو» .
«انه اسم بالاسبرانتو» . قال . «انه يعني (حرية) بالاسبرانتو» .
«اسبيرانتو» قالت ماريا ـ نانزياتا . «هل أنت أسبيرانتو»؟ .
«اسبيرانتو لغة» ، فسّر ليبيرسو . «أبي يتكلم الاسبيرانتو» .
«أنا من كالابريا» . أوضحت ماريا ـ نانزياتا .
« ما اسمك ؟ » .
« ماريا ـ نانزياتا » . قالت وضحكت .
« لماذا تضحكين دائما ؟ » .
« لماذا تدعى اسبيرانتو ؟ » .

« ليس اسبيرانتو ، ليبيرسو » .

« لمـاذا ؟ » .

« لماذا تدعين ماريا ـ نانزياتا ؟ » .

« انه اسم مريم العذراء . سميت على اسم العذراء وأخي على اسم القديس يوسف» .

« القديوسف ؟ » .

اهتزت ماريا ـ نانزياتا ضاحكة : «القديوسف ! القديس يوسف ، وليس قديوسف ، يا ليبيرسو!» .

«ان أخي يدعى جيرمينال» . قال ليبيرسو. «وأختي تدعى أومنيا» .

«الشيء الجميل الذي أخبرتني عنه» ، قالت ماريا ـ نانزياتا، «أرني ايّاه» .

«تعالي ، اذن» . قال ليبيرسو. وضع وعاء السقاية على الأرض وأخذها من يدها .

ترددت ماريا ـ نانزياتا : «أخبرني ما هو أولاً» .

«سترين» . قال ، «لكن عليك أن تعديني بالعناية به» .

«هل ستعطيني ايّاه ؟» .

«أجل ، سأعطيه لكِ» . قادها الى زاوية عند جدار الحديقة . هناك حيث تقف الأضاليا في أصص في مثل طولها .

« انه هناك » .

« ما هـو ؟ » .

« انتظـري » .

اختلست ماريا ـ نانزياتا النظر من فوق كتفيه . انحنى ليبيرسو ليبعد أحد الأصص ، ورفع احدها على الجدار، وأشار الى الأرض .

« هناك » . قال .

«ما هو؟» . سألت ماريا ـ نانزياتا . لم تستطع أن ترى شيئاً . كانت الزاوية غارقة في الظل ، وطافحة بورق الأشجار المكومة .

«انظري ، انه يتحرك» . قال الصبي . وبعدها رأت شيئاً يشبه حجراً متحركاً أو

ورقة شجر، شيئاً مبللاً، بعيون وأرجل، علجوم*.

« مام مامياً ! » .

وراحت ماريا ـ نانزياتا تحجل وتختلس النظر؛ حذرة، بين الأضاليا بحذائها مرتفع الكعب. قرفص ليبيرسو بجانب العلجوم وضحك، كاشفاً عن أسنانه البيضاء في وسط وجهه البني.

«هل أنت خائفة؟ انه مجرد علجوم ! لماذا تخافين؟» .

«علجوم !» همست ماريا ـ نانزياتا .

«طبعاً علجوم . تعالي هنا» ، قال ليبيرسو.

أشارت نحوه باصبع مرتجف : «أقتله».

فمد يديه كأنما يحميه : «لا أريد . انه لطيف جداً».

«علجوم لطيف؟!» .

«كل العلاجيم لطيفون . انهم يأكلون الديدان» .

«أوه !» ، قالت ماريا ـ نانزياتا ، لكنها لم تقترب اكثر. كانت تمضغ طرف وزرتها وتحاول المراقبة من طرف عينيها.

«انظري كم هو لطيف» ، قال ليبيرسو ووضع احدى يديه عليه .

اقتربت ماريا ـ نانزياتا . كفّت عن الضحك، ونظرت بفم مفتوح. «لا! لا! لا تلمسه!» .

كان ليبيرسو يتحسس ظهر العلجوم الرمادي ـ الأخضر بإصبع واحدة وقد غطته الثآليل.

«هل أنت مجنون ؟ ألا تعرف انها تحرق عندما تلمسها ، وتسبب تورم يدك؟» .

أراها الصبي يديه البنيتين الكبيرتين، حيث كانت راحتا يديه مكسوتين بطبقة من الجلد الأصفر الميت الصلب.

«أوه ، انه لن يؤذيني» ، قال «كما انه جميل جداً».

وأمسك الآن بالعلجوم من مؤخرة عنقه كأنه قطة، ووضعه في راحة يده. اقتربت ماريا ـ نانزياتا، وهي ما تزال تمضغ طرف وزرتها، وجثت بالقرب منه .

---

* العلجوم : ضفدع الطين ـ المورد ـ .

« مام ماميّا !» .

كانا يجثوان معا خلف الأضاليا بينما ركبتا ماريا ـ نانزياتا الورديتان تلامسان ركبتيّ ليبيرسو البنيتين لمساً رفيقاً عابراً. كوّر ليبيرسو يده الأخرى فوق ظهر العلجوم، وأمسك به مراراً وتكراراً كأنما سيفلت منه .

«ملّسي عليه يا ماريا ـ نانزياتا» . قال .

خبأت الفتاة يديها في وزرتها .

« لا » ، قالت بحزم .

« ماذا ؟ ألا تريدينه ؟ » .

خفضت ماريا ـ نانزياتا عينيها ، حدجت العلجوم، وعادت لتخفض عينيها بسرعة.

« لا » . قالت .

« لكنه لك . انني أمنحه لك » . قال ليبيرسو.

غاضت عينا ماريا ـ نانزياتا. من المحزن أن يرفض المرء هدية، كما أن لا أحد قام باهدائها شيئاً، لكن العلجوم سبب لها الغثيان حقاً.

«بامكانك أن تأخذيه الى البيت اذا أحببت. سيكون رفيقاً يؤنسك».

« لا . . ».

أعاد ليبيرسو العلجوم الى الأرض ، فسارع الأخير الى الوثب والاختفاء تحت الأوراق.

«وداعاً ، يا ليبيرسو» .

«انتظري دقيقة» .

«لكنني يجب أن اذهب وأنتهي من غسل الأطباق . ان السنيورة لا تحب أن أخرج الى الحديقة».

«انتظري . أريد أن أعطيك شيئاً. شيئاً لطيفاً حقاً. تعالي معي».

وبدأت تتبعه على طول الممرات المرصوفة بالحصى. كم هو غريب هذا الليبيرسو، بذاك الشعر الطويل، وبالتقاطه العلاجيم ووضعها في يديه.

«كم عمرك ، يا ليبيرسو ؟».

«خمسة عشرة . وأنتِ؟».

«أربعة عشرة».
«الآن ، أم في عيد ميلادك القادم؟».
«في عيد ميلادي القادم . في عيد صعود مريم العذراء*».
«ألم يمض هذا العيد؟».
«ماذا ، ألا تعرف متى يكون عيد صعود مريم العذراء؟». وبدأت تضحك.
« لا » .
«يكون عيد صعود مريم العذراء عندما تحدث المواكب. ألا تذهب الى المواكب؟».
«أنا ؟ لا ».
«هنـاك في البلد مواكب جميلة. ليس مثل هنا . يوجد هناك حقول كبيرة مليئة بالبرغموت**، لا شيء غير البرغموت، والجميع يلتقطون البرغموت من الصباح حتى الليل. لي أربعة عشر أخاً وأختاً وكلهم يلتقطون البرغموت، خمسة منهم ماتوا عندما كانوا أطفالاً ، وبعد ذلك أصيبت أمي بالكزاز***، وركبنا جميعاً في قطار لمدة اسبوع لنذهب الى بيت العم كارميللو، ونام ثمانية منا في كراج هناك. قل لي، لماذا لك هذا الشعر الطويل؟».
كانا قد توقفا .
«لأنه ينمو هكذا . أنتِ لك شعر طويل أيضاً».
«انني فتاة . اذا وضعت شعراً طويلاً ستكون مثل فتاة».
«أنا لست مثل فتاة. إنك لا تستطيعين التفريق بين صبي وفتاة من الشعر».
«ليس من الشعر؟».
«لا ، ليس من الشعر».
«لماذا ليس من الشعر؟».
«هل تريدين أن أعطيكِ شيئاً لطيفاً؟».
«أوه ، نعم»
بدأ ليبـيرسـو يتحرك بين الزنابق القلقاسية والمتسلقات البوقية البيضاء المتبرعمة

---

* عيد كاثوليكي لذكرى صعود مريم العذراء الى السماء بعد موتها ـ المترجم والمورد ـ.

** البرغموت : ضرب من الليمون اجاصي الشكل يستعمل قشره في صنع العطور.

*** الكزاز : مرض تتشنج معه عضلات العنق والفك بخاصة ـ المورد ـ .

والمظللة تحت السماء . نظر ليبيرسو داخل كل واحدة، يتلمس طريقه بأصبعين، ثم خبأ شيئاً في قبضته . لم تذهب ماريا ـ نانزياتا الى حوض الورود. كانت تراقبه بضحكة مكتومة. ماذا يريد الآن؟ كان ليبيرسو قد انتهى من النظر في كل الزنابق. عاد اليها واضعاً احدى يديه فوق الأخرى.

«افتحي يديك» . قال . فتحت ماريا ـ نانزياتا يديها، لكنها كانت خائفة من وضعهما أسفل يديه.

« ماذا أحضرت هنا ؟ » .

« شيء جميل جداً . سترين » .

« أرني أولاً » .

فتح ليبيرسو يديه وجعلها تنظر الى ما فيهما. كان كفه مليئاً بخنافس متعددة الألوان، حمراء وسوداء وحتى أرجوانية، لكن الخضراء كانت الأبهى . كانت تطّن وتنزلق فوق بعضها البعض وتلّوح بسيقان دقيقة في الهواء. خبأت ماريا ـ نانزياتا يديها تحت وزرتها.

«انها تدغدغ عندما تمسكينها باحكام. هل تودين أن تحسي بذلك؟» .

أخرجت ماريا ـ نانزياتا يديها بقلب مرتجف، وسكب ليبيرسو شلالاً صغيراً من الخنافس من كل الألوان فيهما.

«لا تخافي. لن تعضك».

«مام ماميا!» . لم يخطر في بالها إن كانت الخنافس ستعضها. فتحت يديها فبسطت الخنـافس أجنحتها وتلاشت الألوان الزاهية وما كان هناك شيءٌ يُرى سوى سرب من حشرات سوداء تحوم وتطير.

«يا للأسف . حاولت أن أعطيك هدية لكنك رفضتها».

«عليّ أن اذهب وأغسل الأطباق . ستغضب السنيورة اذا لم تستطع أن تجدني».

«ألا تريدين هدية؟».

«ماذا تريد أن تعطيني الآن؟».

«تعالي وانظري».

عاد وأخذ بيدها وقادها بين أحواض الورود.

«يجب أن أعود الى المطبخ حالاً، يا ليبيرسو. هناك دجاجة يجب أن تُنتف أيضاً».

«أففف» . قال متذمراً

«لماذا تذمرت ؟» .
«نحن لا نأكل لحم الطيور الميتة أو الحيوانات» .
«لماذا ، هل أنتم في صيام دائم ؟» .
«ماذا تقصدين ؟» .
«حسناً ، ماذا تأكلون اذن ؟» .
«أوه ، كل أصناف الأشياء ، أرضي شوكي ، خس ، بندوره . أبي لا يحب أن نأكل لحم حيوانات ميتة . أو قهوة أو سكراً . . كذلك» .
«ماذا تفعلون بحصتكم من السكر، اذن؟» .
«نبيعها في السوق السوداء» .
كانا قد وصلا بعض النباتات المتسلقة المرصعة بورود حمراء .
«يا للورود الجميلة» ، قالت ماريا ـ نانزياتا . «هل سبق وأن قطفتها؟» .
«ولماذا أقطفها ؟» .
«لتأخذها الى العذراء . الورود للعذراء» .
«ميسيمبريا نزميم*» .
«وماذا هـذا ؟» .
«هذا النبات يدعى ميسيمبريا نزميم باللاتينية . لكل الورود أسماء لاتينية» .
«القداس هو باللاتينية ، أيضاً» .
«لا أعرف عن هذا» .
كان ليبيرسو يحدق عن قرب بالأغصان الملتفة على الحائط .
«ها هي» . قال .
«ماذا ؟» .
كانت سحلية خضراء مرقطة بالأسود، تستدفيء بالشمس .
«سأمسك بها» .
« لا » .
لكنه اقترب اكثر من السحلية ، ببطء شديد، فاتحاً يديه الاثنتين، وبقفزة كان قد

---

* نوع من الطحالب ـ المورد ـ .

أمسك بها. ضحك فرحاً كاشفاً عن أسنانه البيضاء. «أنظري، انها تتفلت». بان رأسها المذهول أولاً، ثم الذيل ينزلق من بين أصابعه المطبقة. كانت ماريا ـ نانزياتا تضحك بدورها، لكن في كل مرة ترى السحلية تثب الى الخلف وتشد تنورتها حول ركبتيها.

«اذن أنتِ لا تريدينني أن أعطيك أي شيء ابداً؟». قال ليبيرسو بحزن، وبحذر كبير وضع السحلية ثانية على الجدار، فاندفعت قافزة. أبقت ماريا ـ نانزياتا عينيها منخفضتين.

«تعالي»، قال ليبيرسو، وأمسك بيدها ثانية.

«أحب أن يكون عندي أحمر شفاه، وأن أطلي شفتيّ في أيام الآحاد كي أخرج للرقص. وأحب أيضاً ان أملك خماراً أسود لأضعه على رأسي بعدئذ لأنال البركة من الكاهن».

«في الآحاد»، قال ليبيرسو، «أذهب الى الغابة مع أخي ونملأ كيسين بأكواز الصنوبر. وبعد ذلك، في المساء، يقرأ لنا أبي من كتاب الـ «كروبتكين». لأبي شعر يصل الى كتفيه ولحية تتهدل على صدره. وهو يرتدي سروالاً قصيراً في الصيف والشتاء. كما انني أقوم بالرسم من أجل نوافذ مبنى الاتحاد الثوري. الأشخاص بالقبعات العالية هم رجال الأعمال. الذين يعتمرون القلنسوات هم الجنرالات. والكهنة هم أصحاب القبعات المستديرة. وبعد هذا ألوّنهم بالألوان المائية».

وصلا الى بركة طفت على وجهها أوراق زنابق الماء المدورة.

«اصمتي الآن»، أمر ليبيرسو.

بدا للعيان، تحت الماء، ضفدع يسبح للأعلى بضربات حادة صغيرة من ذراعيه وساقيه الأخضرين. طفا فجأة، ثم قفز على ورقة زنبق الماء، وجلس في وسطها.

«هناك»، صاح ليبيرسو ومد احدى يديه ليمسك به، لكن ماريا ـ نانزياتا أخرجت صرخة: «أوه!»، فقفز الضفدع عائداً الى الماء. بدأ ليبيرسو يحفر بحثاً عنه، وكاد أنفه أن يلامس الماء.

«ها هو».

دفع باحدى يديه وأخرجه ممسكاً به في قبضته المضمومة.

«ضفدعان معاً»، صرخ. «انظري. ضفدعان، فوق بعضهما».

«لماذا؟». سألت ماريا ـ نانزياتا.

«ذكر وأنثى ملتصقان ببعضهما» ، قال ليبيرسو. «انظري ماذا يفعلان». وحاول أن يضع الضفدعين في يد ماريا ـ نانزياتا. لكن ماريا ـ نانزياتا لم تكن متأكدة إن كانت خائفة بسبب من انهما ضفدعان، أو لأنهما كانا ذكراً وأنثى يلتصقان ببعضهما.

«أتركهما» . قالت . «يجب ان لا تلمسهما» .

«ذكر وأنثى» ، عاد ليبيرسو ليقول، «انهما يصنعان شرغوفاً»*. عبرت غيمة فوق الشمس. وفجأة طفقت ماريا ـ نانزياتا تشعر بالقلق.

«تأخرت . لا بد أن السنيورة تبحث عني» .

لكنها لم تذهب. وبدلاً من ذلك راحا يدوران ويتجولان رغم ان الشمس قد غابت. وعثر بعد ذلك على أفعى: كانت أفعى دقيقة صغيرة خلف حاجز من القصب. لفّها ليبيرسو حول ذراعه وملّس على رأسها.

«سبق وأن قمت بتدريب الأفاعي . كنت أملك منها العشرات. كان احدها طويلاً وأصفر، أفعى ماء. لكنها بدّلت جلدها وهربت. انظري الى هذه تفتح فمها، انظري كيف ان لسانها متشعب. ملّسي، فلن تعضك» .

لكن ماريا ـ نانزياتا تخاف الأفاعي أيضاً. ذهبا الى البركة الصخرية. أراها الينابيع أولاً، ثم فتح كل بخاخات الماء مما ملأها بالفرح. وبعدها أراها السمكة الذهبية. كانت سمكة ذهبية متوحدة ومسنّة، وكانت حراشفها قد بدأت تبيضّ. وفي الأخير، أحبت ماريا ـ نانزياتا السمكة الذهبية. بدأ ليبيرسو يحرك يديه في الماء ليقبض عليها. كان هذا صعباً جداً. ولكنه عندما نجح في ذلك كان على ماريا ـ نانزياتا أن تضعها في زبدية وتحفظها في المطبخ. تدّبر أمره وأمسك بها، الاّ انه لم يخرجها من الماء خوف أن تختنق.

«ضعي يديكِ واهبطي بهما هنا، أمسكي بها». قال ليبيرسو. «يمكنكِ أن تحسي بها تتنفس. ان لها زعانف كالورقة وحراشف تخز. انها لا تؤذي» .

لكن ماريا ـ نانزياتا لم ترد ان تمسك السمكة أيضاً.

كان التراب ناعماً جداً في حوض البطونية*. راح ليبيرسو يحفر فيه بأصابعه وأخرج بعض الديدان الطويلة، الناعمة.

---

* الشرغوف : فرخ الضفدع ـ المورد ـ .

* البطونية : Petunia نبات اميركي من الفصيلة الباذنجانية ـ المورد ـ .

لكن ماريا ـ نانزياتا ركضت بعيداً وهي تصرخ .

«ضعي يدك هنا» ، قال ليبيرسو ، مشيراً الى جذع شجرة دراق قديمة . لم تفهم ماريا ـ نانزياتا السبب، الا انها ما أن وضعت يدها هناك حتى زعقت وركضت لتغطسها في البركة . وعندما أخرجتها كانت يدها مغطاة بالنمل . كانت شجرة الدراق عشاً للنمل . نمل أرجنتيني أسود ودقيق .

«أنظري» . قال ليبيرسو ، ووضع احدى يديه على الجذع . كان يمكن رؤية النمل وهو يصطخب على يده الاّ انه لم يزحه عنها .

«لماذا؟» . سألت ماريا ـ نانزياتا . «لماذا تدع نفسك تُغطّى بالنمل؟» .

استحالت يده الآن سوداء تماماً، وبدأ النمل يزحف صاعداً الى رسغه .

«أبعد يدكَ» . أعولت ماريا ـ نانزياتا . «انك تتركهم يغطونك كلك» .

كان النمل يزحف على ذراعه العارية ، ويبلغ كوعه . إن كامل ذراعه الآن، قد تغطى ببرقع من نقاط سوداء متحركة . وصل النمل الى ابطه لكنه لم يطرده .

«تخلص منه ، يا ليبيرسو . ضع يدك في الماء» .

ضحك ليبيرسو . كان بعض النمل يزحف الآن من على رقبته نحو وجهه .

«ليبيرسو سأفعل ما تشاء ! سأقبل كل تلك الهدايا التي عرضتها علي» .

ألقت بذراعيها حول رقبته وبدأت بازاحة النمل بعيداً .

ومبتسمًا ابتسامته البنيّة والبيضاء، أبعد ليبيرسو يده عن الشجرة وطفق بغير اكتراث ينفض ذراعه . ولكنه كان بادي التأثر .

«حسناً . اذن، سوف أعطيك هدية حقيقية كبيرة . لقد قررت . اكبر هدية يمكنني إعطاؤها» .

« وما هي ؟ » .

« قنفـذ » .

« مام ماميّا ! السنيورة ! ان السنيورة تنادي علي» .

كانت ماريا ـ نانزياتا قد انتهت لتوها من غسل الأطباق عندما سمعت ضربة حصى على النافذة . وقف ليبيرسو أسفل النافذة حاملاً سلة كبيرة .

«ماريا ـ نانزياتا ، دعيني أدخل . اريد ان أعطيك مفاجأة» .

«لا ، لا يمكنك أن تدخل . ماذا لديكَ في السلة ؟».

ولكن السنيورة قرعت الجرس في اللحظة ذاتها، وغابت ماريا ـ نانزياتا عن النظر.

عنـدمـا عادت الى المـطبخ ما كان ليبيرسو موجوداً. ليس في المطبخ ولا أسفل النافذة. توجهت ماريا ـ نانزياتا صوب المجلى. وعندها شاهدت المفاجأة.

على كل طبق تركته لينشف كان هناك ضفدع رابض. أفعى تتلوى لتصعد من قدر صغير. طنجرة حساء مليئة بالسحالي. وحلزونات رفيعة كانت تشكّل أشرطة متقزحة اللون على جميع الأكواب. وفي الحوض المليء بالماء كانت السمكة الذهبية المتوحدة تسبح.

تراجعت ماريا ـ نانزياتا خطوة، لكنها رأت بين قدميها علجوماً ضخمًا. ومن خلفه كان خمسة علاجيم صغيرة في صف واحد، تثب وثبات قصيرة باتجاهها فوق البلاط ذي اللونين الأسود والأبيض.

وليم فوكـنر WILLIAM FAULKNER

- ولـد وليم فوكنـر عام ١٨٩٧ في ولاية ميسيسبي . وكـان جده وليم فوكنـر احدى الشخصيات المهمة في الجنوب الاميركي . رفض فوكنر من قبل الجيش الاميركي حين دخلت اميركا الحرب العالمية الاولى، لكنه أصبح طيارا في سلاح الطيران الكندي . درس في جامعة ميسيسبي لفترة قصيرة بعد الحرب ، لكنه تركها وتنقل بين مهن مختلفة .
- أولى رواياته كانت : «أجرة الجندي» ١٩٢٦ ، وتتالت اعمإله بعد ذلك .
- من أشهر أعمإله : «الصخب والعنف» و«أبسالوم أبسالوم» و«ضوء في آب» و«عندما رقدت لأموت»، الخ .
- منح جائزة نوبل عام ١٩٤٩ .
- توفي عام ١٩٦٢ .

وردة من أجل أميلي A Rose for Emily

من كتاب : Selected Short Stories of William Faulkner.
Random House.

وردة من أجل اميلي

- ١ -

عندما توفيت الآنسة إيملي غريرسون ، خرج سكان بلدتنا كلهم في جنارتها. الرجال خرجوا بدافع الاحترام ومحبة لسقوط رمز. والنساء خرجن نتيجة فضول دفعهن للتفرج على بيتها من الداخل. هذا البيت الذي لم يره أحد من الداخل خلال العشر سنوات الماضية، باستثناء الخادم الذي يجمع بين وظيفتي البستنة والطبخ.

كان البيت كبيراً مربعاً أبيض، وكان مزيناً بالقباب، والأبراج والشرفات اللولبية، على الطريقة التي راجت في السبعينات. ويقع البيت في شارع كان يعتبر من أفضل وأرقى شوارع البلدة. لكن الكراجات ومحالج القطن انتهكت وطمست كل شيء بما في ذلك الأسماء الجليلة المهيبة التي تسكن هذا الحي. لكن منزل الآنسة إيملي كان الاستثناء الوحيد. فقد كان ينهض بقدمه وتداعيه بعناد فوق عربات القطن ومضخات البنزين - وهي مضخات ذات منظر بشع - وها هي الآنسة ايملي قد مضت لتنضم الى ممثلي تلك الاسماء المهيبة الذين يرقدون في مقبرة الأرز بين القبور المميزة وغير المميزة لجنود الاتحاد والكونفدرالية الذين سقطوا في معركة جفرسون.

حين كانت الآنسة إميلي على قيد الحياة ، كان الناس يعتبرونها أشبه بتقليد وتراث وواجب. ضرب من ميراث قسري فرض على المدينة. منذ ذلك اليوم المميز في عام ١٨٩٤ ، حين قام الكولونيل سارتوريس - الذي تبنى قانوناً يفرض على الزنجيات أن لا يظهرن في الشوارع بلا مناديل تغطي وجوههن - بإعفائها من دفع الضرائب، ومنحها راتباً منذ اليوم الذي توفي فيه والدها. . حتى موتها. وحتى لا يحرجها، ادعى الكولونيل

سارتوريس أن والدها دفع منذ زمن بعيد قرضاً للبلدية. وأن البلدية انما تسد الآن هـذا الدين عن طريق دفع راتب شهري الى ابنته. ومثل هـذا الادعاء كان مقبولاً في جيل الكولونيل سارتوريس، ناهيك عن أن الآنسة ايملي صدقته.

لكن الجيل الذي تلا جيل الكولونيل، كان يحمل أفكاراً عصرية. وعندما بدأ هـذا الجيل يحتل المراكز الهامة في البلدة مثل رئاسة البلدية، باتت هذه «الاتفاقية» تشكل مصدر إزعاج وقلق.

وفي إحدى السنوات أرسلوا لها ورقـة من ضريبة الدخل. وأتى شهر شباط ولم ترد الآنسة ايملي عليهم. فكتبوا لهـا رسالة رسمية، تستدعيها الى مخفر الشرطة.. حين تجد وقتاً مناسباً. بعـد أسبوع كتب لها رئيس البلدية بنفسه، وعـرض عليها أن يزورها، أو يرسل سيارته اليها. فجاءه الجواب على شكل ورقـة صغيرة، كتب عليها بحبر باهت، أنها لا تغادر البيت أبداً. وفي المظروف نفسه عادت ورقة الضريبة.. دون تعليق.

فدعوا الى اجتماع خاص «لهيئة المسنين». وبعثوا وفداً منهم لمقابلتها. فسعى هؤلاء الى بيتها وقرعوا بابه الذي لم يدخله زائر مذ توقفت عن إعطاء دروس الرسم الصيني. أي منذ ثماني أوعشر سنين. أدخلهم عجوز زنجي الى صالة كابية يرتفع فيها درج الى منطقة شبه معتمة. وكانت رائحة الغبار والرطوبة والاهمال تفوح من المكان. قادهم الزنجي الى ردهة مفروشة بأثاث ثقيل مكسو بالجلد. عندما أزاح الزنجي ستارة إحدى النوافذ تطاير منها غبار خفيف ودار حول سيقان أعضاء الوفد، وهو يسبح في شعشعة الشمس.

فوق الموقد لوحة من «الكريون» تصور والد الآنسة ايملي.

حين دخلت الآنسة ايملي وقف الجميع. كانت امرأة صغيرة الحجم، بدينـة، تتشح بمـلابس سود. وحـول عنقهـا سلسلة ذهبية تتـدلى نحو خصرها وتتلاشي في حزامها الأبنوسي. كان هيكلها ضئيلاً ودقيقاً. ولعل هـذا ما يجعلها تبدو بدينة دون ترهل. بدت منتفخة، مثل جثـة مكثت طويلاً في مياه راكـدة. وكادت عيناها أن تختفيا بين جفنيها المنتفخين. وبدت عيناها مثل قطعتين من الفحم في عجينة وهما تتنقلان بنظـراتهما من وجه الى آخر من وجوه الزوار.

لم تطلب منهم الجلوس. وقفت بالباب وراحت تصغي الى أن توقف الناطق باسمهم عن الكلام. ثم ترامت الى مسامع الزوار تكتكة الساعة التي تتدلى من سلسلتها الذهبية.

قالت بصوت جاف وبارد:

ـ ليس عليَّ ضرائب في جيفرسون . لقد شرح لي الكولونيل سارتوريوس ذلك . لعل أحدكم يستطيع أن يرجع الى سجلات المدينة للتأكد .

ـ ولكننا عدنا الى السجلات . نحن نمثل السلطة في المدينة . يا آنسة ايملي . ألم تتلقي إشعاراً من رئيس المخفر، ممهوراً بتوقيعه؟

قالت الآنسة ايملي :

ـ نعم . استلمت ورقة . لعله يعتبر نفسه قائد مخفر . لا توجد عليَّ ضرائب في جيفرسون .

ـ ولكن ليس ثمة ما يشير الى ذلك في السجلات . يتحتم علينا أن . . .

ـ قابلوا الكولونيل سارتوريس . لا تترتب عليَّ ضرائب .

ـ ولكن . . يا آنسة ايملي ـ

ـ قابلوا الكولونيل سارتوريس . (الكولونيل سارتوريس مات منذ عشرة أعوام) لا يتوجب علي أن أدفع ضرائب في جفرسون . يا توبي .

أطل الخادم الزنجي :

ـ رافق هؤلاء السادة الى الخارج .

ـ ٢ ـ

وهكذا تغلبت عليهم، كما تغلبت على آبائهم قبل ثلاثين سنة حين أثيرت مسألة الرائحة . كان ذلـك بعد سنتين من موت والدها، وبعدما هجرها حبيبها ـ الذي كنا نعتقد انـه سيتزوجها ـ بفترة قصيرة . ما كانت تغادر المنزل بعد موت أبيهـا إلا لماماً . وبعد أن هجرها حبيبها التزمت البيت، واعتزلت الناس .

كانت بعض السيدات المتهورات يطرقن بابها بين الحين والآخر، لكنها لم تكن تستقبلهم . والاشارة الوحيـدة التي تدل على وجود أحياء في المنزل كانت تتمثل في ذلـك الزنجي ـ وكان شاباً في تلك الأيام ـ الذي كان يخـرج من المنزل ويعود اليه وهو يحمل سلة للتسوق .

قالت السيدات :

ـ كيف يمكن لرجل ـ أي رجل ـ أن يكون طاهياً جيداً . أو أن يكون كفؤاً في المطبخ بشكل عام .

ولهذا لم يستغربن تلك الرائحة التي بدأت تفوح من البيت. كانت تلك الرائحة تمثل علاقة أخرى تربط ما بين العالم البدائي الهمجي الكبير المتزاحم وبين عائلة غريرسون القوية المتعالية.

وعندما اشتكت إحدى الجارات لرئيس البلدية القاضي ستيفنز الذي يبلغ الثمانين من عمره. قال لها:

ـ وماذا نستطيع أن نفعل يا سيدتي حتى نمنع تلك الرائحة ؟

قالت المرأة :

ـ إبعث لها أمراً بالتوقف عن ذلك. أليس ثمة قانون متعلق بهذه المسألة.

قال القاضي ستيفنز :

ـ انا متأكد انه لا داعي لذلك. لعل تلك الرائحة صادرة عن جثة جرذ أو ثعبان قتله ذلك الزنجي في باحة البيت. سوف أحدثه بهذا الشأن.

في اليوم التالي تلقى شكوى ثانية ثم ثالثة. الثانية من رجل طرح الموضوع من زاوية مختلفة: «لا بد أن نقوم بعمل ما أيها القاضي، أنا لا أرغب في إزعاج الآنسة ايملي، ولكن ينبغي وضع حد لهذه المسألة».

في تلك الليلة اجتمع «مجلس العجائز»: ثلاثة ذوو لحى رمادية. وواحد يمثل الجيل الصاعد. قال:

ـ المسألة بسيطة . ابعثوا لها رسالة تحضها على تنظيف المكان خلال زمن محدد. فإذا لم تلتزم. . .

قال القاضي ستيفانز :

ـ اللعنة . هل تجرؤ على اتهام امرأة أثناء وجودها ـ بأن رائحتها نتنة ؟

في اليوم التالي ، بعد منتصف الليل ، اجتاز أربعة رجال حديقة منزل الآنسة ايملي، وتسللوا نحو البيت مثل لصوص. وراحوا يتشممون قاعدة البيت وفتحات القبو. وكان أحدهم يحمل كيساً على كتفه ويرش منه الكلس.

كسروا باب القبو ورشوا الكلس ، كذلك نثروا الكلس في كل الجوانب الخارجية للبيت. وبينما كانوا يتسللون عائدين. رأوا ضوءاً يبرز فجأة وراء احدى النوافذ التي كانت مظلمة. وظهرت الآنسة اميلي وراء الزجاج. كان المصباح خلفها، وكانت تجلس بلا حراك وجذعها منتصب كتمثال. تراجعوا بهدوء نحو الحديقة. ثم اختفوا وراء الأشجار

المطلة على الشارع. بعد أسبوع تلاشت الرائحة.

عندئذ بدأ الناس يشعرون بالشفقة عليها .

عندما يتذكر سكان البلدة كيف جُنت عمتها الكبيرة السيدة «وايت». كانوا يقولون أن أسرة غريرسون تضع نفسها في مركز أعلى قليلاً مما تستحق. فالآنسة اميلي رفضت جميع الشباب الذين تقدموا للزواج منها لانهم لا يليقون بها. كنا ـ نحن سكان البلدة ـ ننظر الى هذه الأسرة كأننا ننظر الى لوحة حية.

الآنسة ايملي ذات العود الناحل ترتدي ثوباً أبيض وتقف في الخلف. والدها يقف في المقدمة لا تبدو منه سوى ظلاله. يولي ابنته ظهره ويحمل سوط جواد بيده. كلاهما يقف إزاء الباب.

عندما بلغت الثلاثين من عمرها وهي لا تزال عزباء، لم نشعر بالفرح. ولكننا شعرنا بأننا لسنا الملامين. وتساءلنا لماذا رفضت كل من تقدم اليها على الرغم من الجنون المتوارث في أسرتها.

حين توفي والدها . قيل إنه لم يترك لها سوى البيت. وكان الناس سعداء بهذه الحقيقة. كأنهم يشمتون بها. وبوسعهم الآن ـ أخيراً ـ أن يشعروا بالشفقة عليها. فوحدتها وفقرها جعلاها تبدو إنسانة. الآن سوف تشعر هي ايضاً الخوف القديم، واليأس القديم الذي تسببه الحاجة.

في اليوم الذي تلا موته ، تهيأت جميع السيدات لعيادتها وتعزيتها وعرض مساعدتهن عليها. . مثلما تقتضي عاداتنا. قابلتهن الآنسة ايملي عند الباب، وكانت ترتدي ملابس عادية، وما كان وجهها يعكس حزناً أو ألماً. قالت لهم إن والدها لم يمت. وأصرت على هذا الموقف ثلاثة أيام. واتخذت الموقف نفسه حين عادها رجال الدين والأطباء ورجوها أن تسلمهم الجثة. وحينما اوشكوا أن يلجأوا الى القانون والقوة، انهارت الآنسة ايملي مستسلمة. فدفن والدها فوراً.

لم نقل أنها مجنونة آنذاك . كنا نعتقد أن والدها هو الذي يقف بينها وبين الزواج.

ـ ٣ ـ

كانت تعاني من مرض مزمن. حينما رأيناها مرة أخرى كانت قد قصت شعرها. فبدت مثل فتاة تشبه اولئك الملائكة الملونين على شبابيك الكنائس ـ مأساوية ورزينة.

وكـانت البلدة قد تعاقدت مع احدى الشركات لتمهيد وتسوية الأرصفة. وفي الصيف الذي تلا موت والدها بدأ العمل. وجاءت الشركة بمهندسيها وزنوجها وبغالها وآلاتها. وجاء معهم مراقب عمال مـن الشمال اسمه «هومر باردن» وهو رجـل ضخم مظلم الوجه، له صوت عظيم وعينان واسعتان. وكان الأولاد يتجمعون حوله ليسمعوه وهـو يشتم الزنوج، بينما يغني هؤلاء وينشدون وهم يعملون.

وبسرعة، تعرف على معظم ابناء البلدة. حيثما تسمع ضحكاً مجلجلاً في هذه المنطقة، فلا بد أن يكون هومر باردن وراءه. ثم بتنا نراه والآنسة ايملي يجوبان البلدة في أمسيات الأحد بالعربة الصفراء.

في البداية شعرنا بالسعادة لأن ايملي وجدت أخيراً من يثير اهتمامها ويسليها. لكن السيدات قلن لا يمكن أن تفكر امرأة تنتمي الى أسرة غريرسون بالزواج من شمالي، فضلاً عن كونه عامل «مياومة». أما العجائز فقد قالوا ان الحزن ينبغي أن لا يدفع الآنسة اميلي الى نسيان السلوك النبيل الذي يفرضه عليها موقعها من المجتمع. وقالوا «المسكينة ايملي. ينبغي أن يأتي اليها اقاربها». كان لها اقارب في «الباما»، لكن منذ سنوات قطع والدها صلته بهم نتيجة خلافه معهم حول أرض تملكها السيدة وايت المرأة العجوز المجنونة. حتى أن هؤلاء الاقارب لم يشاركوا في جنازته.

ما إن يقول الناس «المسكينة ايملي» حتى يبدأ الهمس:

- هل تعتقدون أن هذا صحيح؟

- طبعاً صحيح.

وتمر عربة اميلي وهومر الى جانبها فيقولون:

- المسكينة اميلي.

كانت ترفع رأسها عالياً - حتى حين نعتقد أنها متطامنة - كأنما كانت تطالب اكثر من أي وقت مضى بالاعتراف بها وبموقعها الجليل من حيث هي آخر شخص من عائلة غريرسون. وكأنها كانت تريد من تلك اللمسة الدنيوية أن تعزز مناعتها وحصانتها. مثلما حدث حين اشترت سماً للجرذان، بعد أن مرت سنة كاملة على قول الناس: «المسكينة اميلي»، وبينما كانت بنتا عمها تزورانها.

قالت للصيدلي:

- أريد سماً.

كانت قد تجاوزت الثلاثين من عمرها. ولا يزال قوامها نحيلاً. وكان وجهها ذو العينين السوداوين الباردتين مشدوداً متوتراً عند الصدغين وحول المحجرين، فكانت اشبه بمدبرة منزل. قالت :

ـ أريد سمًا .

ـ حسن يا آنسة ايميلي. أي نوع؟ للجرذان والفئران؟ أوصي بـ. .

ـ اريد أفضل ما عندك ، بغض النظر عن النوع .

عرض عليها الصيدلاني عدة أنواع . وقال :

ـ هذه الأنواع قادرة على قتل فيل . ولكن ما تحتاجينه انت هو. . .

قاطعته الآنسة ايملي قائلة :

ـ زرنيخ . نوع جيد اليس كذلك ؟

ـ نعم يا آنسة . ولكنك بحاجة الى . . .

ـ أريد زرنيخاً . . .

رمقها الصيدلاني بنظرة تحتانية. فلم تطرف ورمقته بنظرة ثابتة، وكانت منتصبة القوام، ووجهها مثل علم مشدود. قال الصيدلاني:

ـ حسن . اذا كان هذا ما تريدين. لكن القانون يقضي بأن تقولي لأي شيء تريدين استخدامه.

حدقت الآنسة اميلي اليه . وارتفع رأسها قليلاً كي تتمكن من أن تلتقي عيناها بعينيه مباشرة. فغض الصيدلاني الطرف، ومضى ليحضر الزرنيخ. أحضر الفتى الزنجي العامل في الصيدلية زجاجة الزرنيخ، بينما اختفى الصيدلاني في غرفة خلفية. حين فتحت العلبة في البيت قرأت على الزجاجة العبارة التالية تحت اشارة العظمتين والجمجمة:

ـ للفئران .

ـ ٤ ـ

وهكذا قلنا في اليوم التالي : «سوف تقتل نفسها». وقلنا ان انتحارها سوف يكون الحل الأفضل. حين كنا نراها مع هومر باردن، كنا نقول: «سوف تتزوجه». وقلنا: «عليها أن تقنعه أولاً». لأن هومر يميل الى الرجال، ويعرف عنه أنه يتناول الخمرة مع شباب أصغر منه سناً في «نادي اليك». وقد اعترف مرة بانه عازف عن الزواج. وقد قلنا فيما بعد «المسكينة اميلي». وكنا نراها تركب في العربة، رأسها مرتفع. وهو الى جانبها. في يده ذات

القفاز الاصفر السوط، وفي فمه سيجار، وعلى رأسه قبعة.

وبدأت بعض السيدات يقلن أن ظهورهما معاً هكذا في أمسيات الأحد إنما يمثل إهانة للبلدة، وحطاً من قدرها. فضلاً عن كونه أمثولة سيئة للجيل الجديد. أما الرجال فما كانوا يرغبون في التدخل. لكن السيدات نجحن أخيراً في دفع القسيس المعمداني الى زيارتها - علماً بأن الآنسة اميلي تنتمي الى الكنيسة الاسقفية البروتستانتية.

لكن القسيس رفض الافصاح عما دار في تلك الزيارة، ورفض أن يعود مرة أخرى للحديث مع اميلي حول هذا الموضوع. وفي الأحد التالي شوهد هومر والآنسة اميلي يجوبان الشوارع بالعربة مرة اخرى. وفي اليوم التالي أرسلت زوجة القسيس رسالة الى أقارب اميلي الذين يسكنون في «آلاباما» حول هذه المسألة. وانتقل بعض أقاربها وأقاموا معها في البيت. بينما كنا نحن - أبناء البلدة - نراقب التطورات. في البداية لم يحدث أي شيء. ثم بتنا على يقين من أنهما سيتزوجان. وعرفنا أن الآنسة اميلي سعت الى محل لبيع المجوهرات، وأنها طلبت إعداد (طقم) رجالي فضي على أن يُكتب عليه: هـ - ب. وبعد يومين علمنا أنها اشترت ثياباً رجالية تتضمن منامة. فقلنا «لقد تزوجا». كنا فرحين. كنا فرحين لأن المرأتين اللتين تقيمان مع الآنسة اميلي - وهما ابنتا عمها - تمثلان عائلة غريرسون أفضل تمثيل بسلوكهما.

ولهذا لم ندهش حين اختفى هومر باردن. واعتقدنا بأنه انما اختفى مؤقتاً ليتيح للآنسة اميلي فرصة التخلص من ابنتي عمها. وفي هـذه الأثناء بدأت عواطف أهـل البلدة تميل لصالح الآنسة اميلي. وبعد اسبوع رحلت المرأتان. وما إن رحلتا حتى ظهـر هومر باردن مرة أخرى. ورآه أحد الجيران يدخل الى بيت الآنسة اميلي ذات مساء داكن.

كان هذا الجار آخر من رآه. بل وآخر من رأى الآنسة اميلي لفترة طويلة. كان الخادم الزنجي يخرج ويدخل حاملاً سلة التسوق. لكن باب المنزل الامامي ظل موصداً. كنا نراها بين الحين والآخر من وراء نافذة.. لكنها سرعان ما تبتعد عن الزجاج. مثل تلك الليلة، حين رآها الرجال الذين سكبوا الكلس. ولكنها لم تظهر علناً لمدة ستة أشهر. وكأن طبيعة ابيها المسيطرة التي حرمتها من أن تعيش كامرأة تستعصي على الموت.

عندما ظهرت الآنسة اميلي علناً لأول مرة، بدت اكثر بدانة، وكان الشيب قد جعل شعرها يبدو رمادياً. وخلال السنوات التالية كان الشيب ينتشر في كل خصلة من خصل شعرها.. حتى بات شعرها رمادياً بلون الملح والصُلب. وظل هكذا حتى وفاتها عن عمر

يناهز الخامسة والسبعين.

وظل بابها موصداً ـ حتى موتها باستثناء ست أو سبع سنوات وهي في أربعينات العمر حين كانت تعطي دروساً خصوصية في الرسم على الخزف الصيني. فقد هيأت مكاناً في الطابق السفلي لهذا الغرض. وكانت بنات وحفيدات الكولونيل «سار توريس» يأتين اليها اسبوعياً بدافع من العطف والشفقة.

ثم أصبح الجيل الجديد عصب البلدة وروحها. وكبرت تلميذات الآنسة اميلي فانصرفن عنها وعن حصصها، ولم يرسلن بناتهن ليحللن محلهن، وتوقفن عن إرسال أطفالهن اليها محملين بصناديق الهدايا الملونة وصور المجلات النسائية. وأوصد الباب الخارجي وظل موصداً. وحين وزعت البلدية صناديق بريد مجانية على البيوت، كانت الآنسة اميلي هي الوحيدة من بين السكان التي رفضت استلام صندوق.

كنا نراقب ـ يومياً، شهرياً، سنوياً ـ الخادم الزنجي وهو يروح ويجيء الى البيت حاملاً سلة التسوق، . . ويكبر ويشيخ. كنا نرسل لها إشعار الضريبة كلما أقبل شهر كانون الأول. وكانت تعيدها الينا بعد أسبوع دون أن تفتحها. إننا نراها بين الحين والآخر وراء إحدى نوافذ الطابق السفلي. (اذ أغلقت جميع نوافذ الطابق العلوي، واستغنت عنه تماماً) وكانت تبدو مثل تماثيل القديسيين في كوات الكنائس، ولم نكن نعرف على وجه اليقين إن كانت ترانا أو لا ترانا.

وهكذا كانت تتنقل من جيل الى آخر وهي نائية، عزيزة، حتمية. ثم ماتت.

وقعت فريسة المرض في منزل مسكون بالغبار والظلال، وما من أحد يسهر عليها سوى خادم زنجي عجوز. ام نعرف انها مريضة. وكنا قد يئسنا من إمكانية الحصول على أية معلومات عنها من الخادم الزنجي. لم يكن يحادث أحداً. ولعله ما كان يحادثها هي ايضاً، اذ بات صوته صدئاً خشناً ـ ربما نتيجة مرض ما ـ .

توفيت في إحدى غرفها السفلية، في فراش ذي ستارة، وسقط رأسها الرمادي على وسادة صفراء اهترأت مع الزمن وعدم التعرض للشمس.

ـ ٥ ـ

إستقبل الخادم الأسود السيدات اللواتي جئن الى المنزل بأصواتهن الخافتة، ونظراتهن السريعة الفضولية. . ثم اختفى. لقد اجتاز المنزل وخرج من الباب الخلفي، ولم يره أحد بعد ذلك.

وجاءت إبنتا عمها من فورهما. وأقامتا جنازة في اليوم التالي. وأقبل سكان المدينة ليلقوا النظرة الأخيرة على جثمانها المجلل بالأزهار، وعليه صورة والدها. وكانت رهبة الموت تنعكس على وجـوه السيدات، أما الكهول فكان بعضهم يرتدي ملابس الكونفدرالية العسكرية. وكان هؤلاء يتحادثون مع الآنسة اميلي وكأنها من أقرانهم، وقد اعتقدوا أنهم راقصوها مرة أو تنزهوا معها، اذ اختلط عليهم الزمن - كما يحدث للعجائز. فالماضي بالنسبة لهم ليس درباً متلاشياً، وانما هو مرعى كبير لا يمسه الشتاء، مفصولاً عنهم بشريط سنوات الحقبة الأخيرة الضيق.

كنا نعرف أن ثمـة غرفة في الطابق العلوي.. لم يقع عليها بصر منذ أربعين سنة. انتظر الناس حتى أُنزل جثمان الآنسة اميلي الى الطابق الأرضي ثم فتحوا باب هذه الغرفة.

العنف الذي رافق تحطيم الباب بدا وكأنه ملأ الغرفة بغبار انتشر في كل مكان.

وكانت رائحة الموت والقبور تفوح من الغرفة المفروشة بأشياء توحي بأنها غرفة «ليلة الزفاف».

كان هذا الانطباع ينبثق من تلك الستائر الكابية ذات اللون الوردي، من تلك الاضواء الجانبية الوردية، من الدولاب، من أدوات حلاقة الرجال في الحمام. في الخزانة ثمة ربطة عنق وياقة رجالية وقد جللهما الغبار. على مقعد من المقاعد ثمة بدلة مطوية بعناية. تحتها حذا رجالي وجوارب.

كان الرجل نفسه مسجى في السرير.

لمدة طويلة بقينا في أماكننا جامدين، ننظر الى الابتسامة العميقة العارية من اللحم. كان الجسد يتخذ وضع عناق. لكن النوم.. النوم الخالد أكثر من الحب قد خدره. كان ما تبقى منه متعفناً تحت المنامة، بات جزءاً من السرير الذي يرقد عليه. وعلى وسادته تناثر غبار.

ثم لاحظنا وجود بقايا رأس في الوسادة الثانية. رفعه أحدنا، فانتشر غبار خفي ودخل في أنوفنا. ورأينا خصل شعر رمادي مثل الصلب.

HEINRICH BÖLL هاينريش بول

- ولد هاينريش بول في كولون، ألمانيا، عام ١٩١٧ .
- خدم في الجبهتين الروسية والفرنسية، وجرح اربع مرات قبل أن يجد نفسه أخيرا في معسكر أميركي لأسرى الحرب الألمان.
- تفرغ بعد الحرب العالمية الثانية للكتابة عن تجربته كجندي.
- نشر أولى رواياته «وصل القطار حسب الموعد» عام ١٩٤٩، وواصل الكتابة بعدها ليصبح واحدا من أهم كتّاب ما بعد الحرب الألمان. كما اشتهر بقصصه القصيرة.
- ان هاينريش بول هو الألماني الأول الذي حاز على جائزة نوبل للأدب مذ ناها مواطنه توماس مان عام ١٩٢٩ .
- نشر ١١ رواية، من بينها: «شبكة الأمان» و«غائب بدون مغادرة» و«نهاية مهمة» و«الاطفال هم مدنيون ايضا» و«صورة جماعية مع سيدة» و«الشرف المفقود لكاثارينا بلوم» و«خبز تلك الأيام المبكرة».
- شارك في لجان عالمية للمطالبة بالحريات للكتّاب في العالم. كما كان قبل وفاته، ١٩٨٥، احد الرموز المهمة لـ«حركة الخضر» الالمانية الغربية، التي ظهرت خلال السنوات القليلة الماضية، واشتهرت بمعاداتها لنشر الاسلحة والصواريخ النووية الاميركية في اوروبا بعامة، وألمانيا على وجه الخصوص.

PALE ANNA «أنّا» الشاحبة

من كتاب: GERMAN Short Stories 1
Penguin Books. 1981.

« أنّا » الشاحبة

لم أرجع من الحرب إلا قبيل ربيع ١٩٥٠، حيث اكتشفت أن لا أحد من الذين أعرفهم بقي في البلدة. ولحسن الحظ أن أهلي تركوا لي شيئاً من المال. استأجرت غرفة. استلقيت على السرير. دخّنت وانتظرت، ولم أكن اعرف ما الشيء الذي أنتظره. لم أرغب بالعمل. أعطيت مالاً لصاحبة البيت لتقوم هي بشراء حاجاتي وطهي طعامي. وكانت كلما أحضرت لي القهوة أو الوجبة الى غرفتي، تمكث وقتاً أطول مما أود. قُتلَ ابنها في مكان يدعى (كالينوفكا). وكانت عندما تدخل عليّ تضع «الصينية» على الطاولة وتخطو الى الزاوية المعتمة عند سريري. هناك حيث أمضي الوقت بالتكاسل. بليداً، وأسحق أعقاب السجائر على الحائط. لذا، وعلى مساحة الحائط المقابل لسريري، انتشرت علامات سوداء. كانت صاحبة البيت شاحبة نحيلة، وكنت أخشاها حين يواجهني وجهها مطّلاً عليّ من فوق الاضاءة الخفيفة. في البداية اعتقدت انها مجنونة بسبب من عينيها شديدتي البريق والاتساع، ولسؤالها المتكرر دائما وأبدا عن ابنها: «ـ أمتأكد من أنك لم تعرفه؟ كان اسم المكان كالينوفكا ـ ألم تكن هناك يوما؟».

ولكنني لم أكن قد سمعت بمكان يدعى كالينوفكا. وفي كل مرة كنت أستدير الى الحائط وأقول: «ـ لا. في الحقيقة لم أكن هناك، لا أذكر».

ما كانت صاحبة البيت بمجنونة. لا بل هي امرأة دمثة للغاية. ولكنني بت أشعر بالتحرج لدى استجوابها لي. فهي دائمة السؤال. عدة مرات في اليوم. وإن ذهبت اليها في المطبخ عليّ أن أنظر الى صورة ابنها. صورة ملونة معلقة فوق الكنبة. كان ضاحكاً، صبيا أشقر الشعر، ومرتدياً ـ في الصورة الملونة ـ حلّة جندي المشاة.

«ـ أُلتقطتْ في الثكنة»، قالت صاحبة البيت، «قبل توجهه الى الجبهة».

كانت صورة نصف طولية: اعتمر خوذة فولاذية، ومن خلفه يمكنك وبوضوح جلّي رؤية قصر وهمي خرب، ونباتات اصطناعية متعرشة تحيط بالمكان.

«ـ كان قاطع تذاكر»، قالت صاحبة البيت، «في احدى الترامات. صبّي عامل ومُجِّد». وبعد ذلك تتناول، وفي كل مرة، صندوق الصور القائم فوق طاولة الخياطة، بين رقع القماش وكتل الخيوط المتشابكة. ودائما تنثر بين يدي الكثير من صور ابنها: مجموعات المدرسة، وفيها جميعاً يجلس ولد في المنتصف من الصف الأول واضعاً بينِ ركبتيه لوح الكتابة، وعلى اللوح كان هناك ٦، ٧، وأخيرا ٨. وفي رزمة منفردة جُمِعَتْ الى بعضها بمطاطة حمراء، كانت صور (المناولة الأولى)*: طفل باسم يرتدي حلّة رسمية سوداء ويحمل في يده شمعة عملاقة. هكذا كان يقف أمام قماش شفاف رُسم عليه كأس القربان. وبعدها توالت الصور التي تظهره كصبيّ يتدرب عند صانع أقفال أمام مخرطة، ولطخات تكسو وجهه بينما يداه تقبضان بإحكام على مبرد.

«ـ لم يكن هذا بالعمل اللائق به»، قالت صاحبة البيت، «إذ كان مرهقا جدا». ثم أرتني آخر صورة له قبل أن يصير جنديا: ها هو يقف بلباس قاطع تذاكر في ترام، الى جانب ترام رقم ٩ في المحطة حيث خط السكة الحديدية يميل حول الدائرة. ولقد لحظت كشك المرطبات ذاك الذي كنت غالباً أبتاع منه السجائر، في وقت لم يكن هناك من حرب. لحظت شجرات الحور التي ما زالت هناك حتى اليوم. رأيت الفيللا والأسود المذهبة على بوابتها.. تلك التي ما عادت موجودة. وتذكرت الفتاة التي غالباً ما كنت أفكر بها خلال الحرب: كانت جميلة، شاحبة، بعينين لوزيتين، وكانت دوماً تستقل الترام عند المحطة رقم ٩.

كنت في كل مرة أود إطالة النظر إلى صورة ابن صاحبة البيت، وهو في المحطة رقم ٩، وكنت أفكر بأشياء عديدة: بالفتاة وبمصنع الصابون حيث كنت أعمل في تلك الأيام، سمعت صليل الترام، رأيت الشراب الأحمر الذي احتسيته عند الكشك في الصيف، دعاية السجائر الخضراء، والفتاة مرة أخرى.

---

* طقس كاثوليكي يقضي بتناول الطفل المسيحي للقربان، لأول مرة، إثر اعترافه بخطاياه. ثم يدرج على هذا فيما بعد. ـ م ـ.

«ـ ربما عرفته بعد هذا كله!» قالت صاحبة البيت.

هززت رأسي وأعدت الصورة الى الصندوق: كانت صورة لامعة وبادية الحداثة رغم أن ثمانية سنوات مضت عليها.

«ـ لا»، قلت. «ـ حتى كالينوفكا. حقا أنا لا أذكر».

كان عليّ الذهاب اليها مرارا في المطبخ، ومرارا كانت تأتي هي الى غرفتي، وطوال اليوم كنت أفكـر بالذي أريد أن أنساه: الحرب ـ نثرت رماد سيجارتي وراء السرير، وسحقت عقبها على الحائط.

أحيانا، وأنا راقد هناك في المساء، كنت أسمع وقع خطوات فتاة في الغرفة المجاورة. أو اليوغسلافي الساكن في الغرفة المحاذية للمطبخ. وهو يلعن بينما يحاول العثور على زر الكهرباء قبل أن يدلف الى غرفته.

ولم يحدث إلا بعد ثلاثة أسابيع من وجودي، وتناولي لصورة «كارل» بين يدي للمرة الخمسين، أن انتبهت الى أن عربة الترام في الأمام، حيث كان يقف مبتسمًا حاملاً حقيبته، لم تكن خالية. وللمرة الأولى أنكّب على الصورة مولياً ايّاها عنايتي، وإذ بي أرى فتاة باسمة داخل العربة وقد وضحت في الصورة. كانت تلك الفتاة الجميلة التي فكرت بها مرارا خلال الحرب. اقتربت صاحبة البيت. نظرت بتركيز الى وجهي، وقالت: «ـ والآن، هلاّ تعرفت عليه؟...». عندها ذهبت ورائي، ومن وزرتها المثنية حول خصرها تضوعت رائحة بازلاء خضراء طازجة.

«ـ كلا.» قلت بهدوء، «ـ لكنني أعرف الفتاة».

«ـ الفتاة؟»، قالت، «ـ كانت خطيبته، ولكن ربما من الأفضل أنه لم يرها ثانية ـ».

«ـ لماذا؟»، سألتها.

لم تجب. مشت مبتعدة عني. جلست على الكرسي بمحاذاة النافذة، وأخذت بتقشير البازلاء. وبدون أن تنظر اليّ قالت: «ـ هل عرفت الفتاة؟».

أخـذت الصورة في يدي بحزم، نظرت الى صاحبة البيت وحدثتها عن مصنع الصابون. عن المحطة رقم ٩ والفتاة الجميلة التي كانت تستقل الترام من هناك دائما.

«ـ لا شيء عدا ذلك؟».

«ـ لا»، قلت، وتركت هي البازلاء تتوالى عبر منخل وتعبر الى السدادة. وما رأيت سوى جانب ظهرها.

« ـ حين تراها ثانيـة ستلاحظ لمـاذا كان من الأفضـل أنه لم يقـع عليها بصـره مرة أخـرى ـ» .

« ـ أراها ثانية ؟ . . » ، قلت .

جففت يديها بوزرتها ، تقدمت نحوي، وبحذر أخذت الصورة من يدي . بدا وجهها الآن أكثر نحولاً ، عيناها تنظران وتعبرانني ، ولكنها وبكل لطف وضعت يدها على كتفي الأيسر . «ـ انها تسكن في الغرفة المجاورة لك . «أنّا» تسكن هنا . نحن نناديها دائما بأنّا الشاحبة لأن لها ذاك الوجه الأبيض . ألم ترها حتى الآن حقا؟» .

« ـ كلا » ، أجبت ، « ـ أنا لم أرها حتى الآن ، ولكنني سمعتها عدة مرات . ماذا جرى لها؟» .

« ـ أنا لا أحب التحدث عن ذلك . ولكن من الأفضل ان تعرف . لقد ذبل وجهها تماما . ندوب على كل جزء فيه ـ لقد أصيبت بمتفجرة ألقيت على واجهة محل . لن تتبينها» .

انتظرت طويلا ذاك المساء الى أن وقع سمعي على خطوات في الممر . الّا انني كنت مخطئا في المرة الأولى : كان اليوغسلافي . نظر اليّ مدهوشا في الوقت الذي اندفعت فيه فجأة خارجاً نحو الممر . قلت مضطربا : أسعدت مساءً» ، وقفلت عائداً الى غرفتي .

حاولت أن أتخيل وجهها بالندوب الّا انني عجزت عن هذا . كان يبدو لي جميلاً حتى بتلك الندوب . فكرت بمصنع الصابون ، بأهلي ، وبفتاة أخرى خرجت معها مراراً في تلك الأيام . كان اسمها «اليزابيث» ، الّا انها دعتني أناديها بـ «ماتز» . وكانت في كل مرة أقبّلها تضحك فأشعر بالغباء . بعثت لها ببطاقات من الجبهة . وفي المقابل أرسلت لي طرودا صغيرة حوت بسكوتاً مخبوزاً في البيت كان يصل دائمًا مفتتاً الى قطع . أرسلت لي سجائر وصحفاً . وفي واحد من خطاباتها كتبت : «ستنتصر أيها الغلام . وأنا جد فخورة لوجودك هناك» .

ولكنني لم أكن فخوراً أبدا بأن أكون هناك . وعندما تهيأت للرحيل لم أكتب لها عن ذلك ، وخرجت مع ابنة بائع السجائر الذي سكن في بيتنا . أعطيتها صابونا من الذي أحصل عليه من المصنع ، وأعطتني هي السجائر بالمقابل . خرجنا الى السينما . للمراقص . ومرة ، وأهلها في الخارج ، أخذتني الى غرفتها حيث دفعتها في العتمة الى الكنبة ، ولكن ما أن هممت بالرقود فوقها حتى أضاءت النور! تبَّسمتْ بمكر وقد صوّبت عينيها عليّ . وفي الوهج شاهدت «هتلر» معلقاً على الحائط . صورة ملونة . ومن حول «هتلر» على ورق الجدران الوردي ، كان ثمة رجال بوجوه قاسية معلقين داخل شكل قلب . بطاقات ثبتت

بدبابيس. رجال يعتمرون خوذات فولاذية وقد أُقتطعوا من مجلة مصورة.

تركت الفتاة منطرحة على الكنبة. أشعلت سيجارة. وخطوت الى الخارج. وبعد زمن، بعثت اليّ، في الجبهة، كلتا الفتاتين ببطاقات قالتا فيها أنني تصرفت بطريقة سيئة. ولكنني لم أردّ عليهما...

انتظرت «أنّا» طويلا، دخّنت كثيراً من السجائر في الظلمة، فكّرت بالعديد من الأشياء، وعندما أُولجَ المفتاح في القفل كنت خائفاً من أن أقف وأرى وجهها. سمعتها تفتح بابها، تدندن بخفوت وهي تجيء وتروح. في غرفتها. وأخيراً نهضت وأخذت أنتظر في الممر. فجأة ساد غرفتها صمت. لم تعد تجيء وتروح. كنت خائفاً أن أطرق الباب. وصل الى سمعي صوت اليوغسلافي وهو يغمغم ويتمشى ذهاباً وإياباً في غرفته. غليان الماء في مطبخ صاحبة البيت. أما في غرفة «أنّا» فكل شيء صامت. ومن باب غرفتي المشرع رأيت على الحائط العلامات السوداء للسجائر العديدة التي سحقتها عليه.

ارتمى اليوغسلافي الطويل على سريره. لم أعد أسمع خطواته بعد الآن. غمغماته فقط. كما أن الابريق في مطبخ صاحبة البيت ما عاد يغلي. وصل اليّ الصوت المعدني عندما قعقعت صاحبة البيت بالغطاء فوق قدر قهوتها. الصمت ما زال في غرفة «أنّا»، وخطر لي انها ستحدثني، فيما بعد، عن كل الأشياء التي كانت تفكر بها فيما أنا ما أزال واقفاً خلف بابها. وبعدها أخبرتني بكل شيء.

حدقت في الصورة المعلقة الى جانب الباب: بحيرة فضية وامضة وحورية تبزغ منها. شعرها أشقر ومبلل. تبتسم لصبيّ فلاح وقف متوارياً وراء أكمة شديدة الخضرة. استطعت تبينّ شيء من الثدي الأيسر، وكذلك بان عنقها: كان بياضه ناصعاً وبه قدر من الطول.

لا أعرف متى كان هذا. ولكنني، بعدها، وضعت يدي على مقبض الباب، وحتى قبل أن أنزله وينفتح ببطء أدركت ان «أنّا» لي أنا: كان وجهها مغطّى تماما بندوب صغيرة مزرّقة ووامضة. رائحة فطر نفثت من المقلاة وتضوّعت خارج غرفتها. وفتحت الباب على عرضه، وضعت يدي على كتف «أنّا»، وحاولت أن أبتسم.

إلسي إيشنجر ILSE AICHINGER

- ولدت إلسي ايشنجر في فيينا عام ١٩٢١ حيث أمضت طفولتها هناك وفي لينز.
- درست الطب في فيينا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، واثر ذلك بدأت الكتابة.
- نشرت عام ١٩٤٨ رواية «ليس من أجل عيد الميلاد فقط»، وبعدها عملت كقارئة نصوص في دار للنشر، وتعاونت لتعمل في مدرسة للتصميم في أولم.
- تعيش الآن في بافاريا العليا ومتزوجة من الشاعر غانثر أيش.
- كتبت، بالاضافة للقصص والروايات، عدة تمثيليات اذاعية. ونالت عدة جوائز مهمة من بينها: جائزة Qruppe ٤٧، والجائزة الأدبية لمدينة بريمن، وجائزة مدينة دسولدورف.

قصة معكوسة STORY IN REVERSE

من كتاب: GERMAN Short Stories 1

Penguin Books. 1981.

السي ايشنجر

قصة معكوسة

إذا دفع أحدهم بسريركِ خارج جناح المستشفى، اذا رأيتِ الفضاء يتحول الى الأخضر، واذا أردتِ أن توفري على القسيس متاعب طقوس الجنّاز؛ عندها سيكون وقت نهوضك هادئاً كأطفال يفعلون ذلك عند لمعان الضوء من خلال الستائر في الصباح. بتلصص، كي لا تراكِ الراهبة.. وبسرعة!

ولكن يكون الأوان قد فات؛ فالقسيس قد بدأ للتو. بمقدوركِ أن تسمعي صوته هناك، شاباً عفياً وبلا نهاية. بمقدورك أن تريه وقد شرع بالكلام. لهذا فلتكن الأمور كما هي. دعي كلماته الطيبة تغوص أكثر في المطر المبهر. قبركِ مفتوح. دعي يقينه الثابت يصير بلا فائدة أولاً. إذا تركته فإنه، في النهاية، لن يعرف إن كان قد بدأ فعلاً. ولأنه لا يعرفّ فإنه يعطي إشارة إلى حاملي بساط الرحمة. هؤلاء الذين لا يسألون. يحملون نعشك و يخرجون. يأخذون الإكليل من على غطاء التابوت ويعيدونه للشاب الواقف برأس منكس على حافة القبر. يأخذ الشاب إكليله، وبنعومته المحرجة المطلة من بين كل الأشرطة، ينظر للحظة ثم يندفع المطر عبر بضعة دموع على خديّه. عندها يتحرك الموكب عائداً على طول امتداد الجدران. يُعاد إشعال الشموع في الكنيسة البشعة الصغيرة، ويتلو القسيس صلاته من أجل الموتى ـ وذلك في سبيل أن تعيشي. يصافح الشاب بحيوية ويهزّه ويتمنى له كل السعادة. إنها جنازته الأولى، وها وجهه يحمّر خجلاً حتى قبته. وقبل أن يقدر على تصحيح نفسه، يكون الشاب قد ذهب. ماذا بوسع المرء أن يفعل الآن؟ حتى اذا تمنى أحدهم كل السعادة، فلا شيء يمكن فعله سوى إرسال الميت الى البيت ثانية.

تتوجه المحفة بعد ذلك مباشرة مع نعشك عائدة في الشارع الطويل. على اليسار

واليمين بيوت بنرجس متفتح في كل نافذة. ذاك النوع الملائم لكل إكليل، ولا شيء بمقدور المرء أن يفعله. يذهب الأطفال بوجوههم عكس الآلام المُوصَدة. إنها تمطر، ورغم ذلك فان أحدهم يَهم بالركض خارجاً من باب أمامي. يتوقف خلف المحفة، يُفرض المشهد عليه، ويبقى في المؤخرة يغطي الطفل عينيه بيديه الاثنتين ويراقبك تذهبين بغضب. ولكن إلى أين يمكن للمرء أن يتأرجح، إن كان يسكن في الشارع المؤدي الى المقبرة؟.

عربتك تنتظر الضوء الأخضر على مفترق الطرق. المطر يصبح أخف وطأة. تتراقص حباته على ظهر العربة. هناك رائحة تبن عن بُعد. عُمِدَّتْ الشوارع حديثاً، وقد غمر الفضاء بيده كل الأسطح. وببساطة مطلقة تتقدم عربتك قليلاً على جانب خط الترام. صبيان صغيران على حاجز حجري يراهنان على شرفهما مَن منهما الأسرع، ولكن الذي راهن على خط الترام سيخسر. جائز أن تكوني قد قمتِ بتحذيره، ولكن لم يسبق لأحد أن استوى في نعشه لسبب مثل هذا.

اصبري. فالوقت بداية الصيف. وما يزال الصباح بعيداً في جوف الليل. لقد وصلتِ في وقتك. قبل ان تظلم، واختفى الأطفال من على الحواجز الحجرية. تستدير العربة في ساحة المستشفى. تسقط أشعة القمر على المدخل مباشرة. قريباً ويأتي الرجال ليحملوا نعشك من المحفة، ولتتقدم هي الى البيت بابتهاج.

إنهم يحملون نعشك عبر المدخل الثاني قاطعين الباحة الى مكان حفظ التوابيت. هناك حيث المنصة الخاوية سوداء، منكفئة، عالية وتنتظر. وضعوا النعش عليها وفتحوه ثانية. لعَنَ أحدهم لأن المسامير قد تم طرقها بإحكام. هذه الدِقّة اللعينة!.

وبعد وقت قصير رجع الشاب بدوره واستعاد المحفة. كان وقتاً متأخراً. رتّب الرجال الأشرطة ونسقّوها على المقدمة. يمكنكِ الآن أن ترتاحي. فالمحفة في وضع جيد. وعند الصباح ستُنعشُ الورود الذابلة في براعمها. ظللتِ وحيدة طوال الليل مع الصليب بين يديكِ، وفي النهار أيضاً ستحظين بالمزيد من السلام. بعد زمن لن تنجحي بالاستلقاء في سكون كهذا.

عاد الشاب ثانية في اليوم التالي. ولأن المطر لم يعطه دموعاً مكث في الخواء وأخذ يؤرجح قبعته بين أصابعه. هل سيغطي وجهه بيديه عندما يهمون برفع النعش الى المحفة؟ إنه يبكي. وأنت لست في مستودع الجثث بعد. على ماذا يبكي؟ ضاع غطاء التابوت وها

ضوء النهار عريضاً واضحاً. العصافير تزقزق بجذل. إنها لا تعلم انه من المحظور إيقاظ الموتى. يمشي في مقدمة نعشك كما لو أن زجاجاً يعترض خطواته. الريح بلوعة وهابّة مثل طفل يمرح بصخب.

لقد أدخلوكِ الى البيت وارتقوا بكِ الدرجات . تم ذلك وأنت خارجَ التابوت. فراشـك أُعِدَ حديثاً. نظـر الشاب عبر النافذة الى الممر حيث هناك حمامتان تتزاوجان وتهدلان بصوت مرتفع. ابتعدَ باشمئزاز.

وها هم الآن قد أرقدوك في الفراش. كما وضعوا قماشاً على فمك بحيث بدوتِ غريبة للغاية. شرع الرجل بالصراخ ورمى بنفسه عليك. قادوه بعيداً وبلطف. «ينبغي التزام الصمت». عبارة مكتوبة على كل الجدران. المستشفيات مكتظة هذه الأيام، وعلى الموتى ألّا يستيقظوا مبكراً.

صفارة السفن في الميناء . وصلتْ أم رحلتْ ؟ من يدري ؟ هُس! ينبغي التزام الصمت. لا توقظوا الموتى قبل أوانهم. إن نوم الموتى خفيف. الّا ان السفن تواصل صفيرها. وبعـد قليل سيشيلون ذاك القماش عن وجهك رغبوا في ذلـك أم لم يرغبوا. سيغسلونك وسيغيرون قميصك. وواحد منهم سينحني فوق قلبك، سريعاً، بينما أنت ما تزالين ميتة. لم يبق من الوقت الكثير وهـذا خطأ السفن. بدأ الصباح يعتم للتو. فتحوا عينيك اللتين تشعّان بياضاً. لم يطيلوا الكلام عن مظهرك المسالم، شكراً للملائكة لهذا، إذ علقتْ الكلمات في حلوقهم. انتظـري قليلاً. قريباً ويذهبون. لا أحـد يريد أن يكون شاهداً، لأن الناس يُحرقون بسبب هذا حتى في هذه الأيام.

تركوكِ لوحدكِ . تركوكِ طويلاً لوحدكِ درجة انك فتحتِ عينيك ورأيت الفضاء الأخضر. تركـوك طويلا لوحـدكِ حتى انـك بدأتِ تتنفسـين بثقل وباختناق وعمق. تخشخشين كسلسلة المرساة حين سحبها. انتصبتِ وصحتِ منادية على أمك: يا للسماء كم هي خضـراء!

«بدأ غضب الهذيان يهدأ» ، يقول صوت من خلفك، «بدأتْ آلام الاحتضار».

آه ، هُم ! ماذا يعرفون عن هـذا .

اذهبي الآن ! لقد حانت اللحظة. تم استدعاء الجميع بعيداً. اذهبي قبل أن يعودوا، وقبل ان تعود همساتهم لتعلو. اهبطي الدرجات، اعبري بواب القاعة خلال الصباح المتحول الى ليل. كأن صياح الطيور في العتمة آلامك وقد بدأت تمرح صاخبة.

اذهبي الى البيت وتمددي على سريرك حتى ولو ظلت مفاصله تصرّ وتقعقع . هناك تتحسنين أسرع . تثورين على نفسك لثلاثة أيام فقط، وتتشربين بخضرة الفضاء . لثلاثة أيام هناك تدفعين بالحساء جانباً . ذاك الذي تأتيك به المرأة الساكنة فوق، وفي اليوم الرابع تتناولينه .

وفي اليوم السابع، وهو يوم الراحة، تذهبين بعيداً . يقودك الألم وستعرفين الطريق . الى اليسار أولاً، ثم اليمين . وعندها الى اليسار ثانية، يميناً عبر أزقة رصيف الميناء المترعة بالفقر درجة انها لا تفضي الاّ الى البحر . لو ان الشاب بقربك، ولكنه ليس معك، كنتِ في التابوت أكثر جمالاً . ولكن وجهك قد تشّوه بالألم الآن . توقف الألم عن مرحه الصاخب . ولكن الآن ايضاً ـ على طول الطريق ـ يقف العرق خارجاً على جبينك، لا، كنت في التابوت أكثر جمالاً .

الأطفال يلعبون الجلل في الشارع . ركضتِ وكأنك تنفلتين الى الخلف ولا أحد منهم هو طفلك . كيف يمكن أن يكون أحدهم هو طفلك عندما تذهبين الى المرأة العجوز الساكنة لصق الحانة . كل الميناء يعرف كيف تغري المرأة العجوز بالخمر .

ها هي تقف أمام الباب . الباب مفتوح وهي تصل بيدها اليك . يدها قذرة . كل شيء هناك قذر . على المدفأة تنتصب الورود الصفراء . نفس الورود الملائمة للأكاليل . هي نفس الورود مرة أخرى . المرأة العجوز «حبّابة» لدرجة كبيرة . كما ان الألم يهزك ولكن يجب ان لا تصرخي . أعطي المرأة العجوز النقود من أجل الخمر! مرة حينما أعطيتها النقود أغلقت فمك بيديها الاثنتين . إنها غير مسرفة أبداً في شرب الخمر، هذه المرأة العجوز . إنها لا تحلم بالذي لا يولد . لا يجرؤ الأطفال الصادقون على شكوها للملائكة، كما ان المذنبين منهم لا يجرؤون ايضاً . أما أنتِ ـ أنت تجرؤين!

«أعيدي لي طفلي الى الحياة ثانية!» .

لم يطلب أحد هذا من المرأة العجوز من قبل . أما أنت فقد طلبتِ . المرآة تمنحك قوة . المرآة العمياء مع قذارة الحشرة تأذن لك بطلب ما لم يطلبه أحد من قبل . «أعيديه الى الحياة، والاّ، سأدوس على الورود الصفراء . والاّ سأنزع عينيك خارجاً . والاّ سأنتزع نافذتك، افتحها ثم أصرخ في كل الزقاق الضيق، حتى يسمع الجميع ما يعرفونه أصلاً . سأزعق ـ» .

عندئذٍ تقف المرأة العجوز عاجزة . وفي عجزها الكبير، في المرآة العمياء، تسلّم

بطلبك. انها لا تعلم ماذا تفعل الاّ انها تنجح في المرآة العمياء. يستحيل الرعب هائلا ويبدأ الألم أخيراً بالابتهاج. وقبل أن تستطيعي الصراخ . . . فأنت تعرفين التنويمة: «نم، يا طفلي الصغير، نم»، وقبل أن يكون بمقدورك الصراخ تقذفك المرآة العمياء أسفل الدرجات المعتمة مرة اخرى، وتجعلك تمشين بعيداً. تجعلك تركضين. لا تركضي بسرعة كبيرة!

من الأفضل لك أن ترفعي عينيك عن الأرض، والاّ فبالامكان حدوث هذا. ففي الأسفل هناك عند السياج حول البناية الخالية تركضين نحو رجل، شاب، يؤرجح قبعته بين يديه.

هكذا انتبهتِ له . إنه الشاب ذاته الذي كان يؤرجح قبعته بين يديه الى جانب نعشك؛ هـا هو مرة أخرى! ها هو يقف هناك وكأنها لم يبرح مكانه أبداً. ها هو هناك يستند الى السياج. تقعين بين ذراعيه. مرة أخرى لا يملك دموعاً؛ أعطهِ بعضاً من عندك. اطلبيه الى اتفاق عادل قبل ان تأخذي بذراعه. قبل أن تستأذني بالانصراف. وقبل أن تذهبي بعيداً مع شخص آخر، عليكِ أن تنفصلي عنه للأبد عند السياج المحيط بالبناية الفارغة.

عندئذ تواصلين سيرك . هناك ممـر يقودك الى البحر مخلفاً ساحة الفحم. كلا كما صامت.

تنتظرين الكلمات الأولى. تدعينها له كي لا تُتركين مع الكلمات الأخيرة. ماذا سيقول؟ بسرعة، قبل أن تصيري الى جانب البحر الذي يجعلك لا مبالية. ماذا يقول؟ ما هذه الكلمة الأولى؟ أممكن أن تكون بهذه الصعوبة بحيث تجعله يتلعثم؟ تجبره على الاطالة بنظرته المحدقة؟ أم أنها رؤوس الفحم التي تلوح بلا وضوح كالطيف فوق السياج، وتبدو كخيالات عبر عينيه وتبهره بسوادها؟ الكلمة الأولى - لقد قالها الآن: انها اسم الشارع. هو اسم الزقاق الضيق حيث تسكن المرأة العجوز. كيف هذا؟ قبل أن يعرف أنك تنتظرين طفلاً أتى على ذكر المرأة العجوز. قبل أن يقول إنه يحبك ذكر اسم المرأة العجوز. إبقي هادئة! إنـه لا يعلم انك ذهبتِ للمرأة العجوز، ولا يقدر ان يعرف أيضاً. إنه يجهل عن المرأة تماماً. وبشق النفس استطاع قوله قبل ان ينساه. ففي المرآة تُقَال كل الأشياء خوفاً من أن تُنسىٰ. وبشق النفس، كذلك، قلتِ انك تنتظرين طفلاً قبل ان تطمسي الأخبار. تعكس المرآة كل شيء. ذؤابات الفحم تغوص بعيداً في الخلف منك. هناك حيث أنتما عند

البحر ترين القوارب البيضاء كأسئلة على حدود نظراتك المحدقة. إبقي ساكنة، يُخرجُ البحرُ الجوابَ من فمكِ، يزدرد البحرُ أي شيء تريدين قوله.

تذهبين من هناك صُعداً على الشاطيء مرات كثيرة وكأنك تهبطين نحوه. الى البيت وكأنك تهربين بعيداً عنه. وبعيداً عنه وكأنكِ تسيرين اليه.

بماذا يهمسون داخل أذهانهم الذكية ؟

«انها آلام احتضار الموتى» . دعيهم يتكلموا.

يوماً ما ستكون السماء شاحبة بما فيه الكفاية ، شاحبة درجة أن يلمع شحوبها. عندئذ، هل هناك إشراق آخر غير ذاك الشحوب المطلق؟

في هذا اليوم تعكس المرآة البيت المحكوم عليه. «المحكوم عليه» هو ما يطلقه الناس على البيت الذي سيدمر. يسمونه بالمحكوم عليه لأنهم لا يعرفون تسمية أفضل. عليك أن لا تخشي من هذه التسمية. السماء شاحبة بما فيه الكفاية الآن. وكما السماء في شحوبها فإن البيت، كذلك، ينتظر النعيم في نهاية محكوميته. بعد كثير من الضحكات تخرج الدموع بيسر. لقد بكيتِ كفاية. استعيدي اكليلك - قريباً ستنالين الإذن بخسارة تسريحة ذيل الحصان. كل شيء في المرآة، وفي الخلف من كل شيء تفعلينه يرتمي البحر أخضر. عندما تغادران البيت معاً سيمتد البحر خارجاً قبلكما. عندما تتسلقان ثانية للخروج عبر النوافذ الشبيهة بالكهوف ستنسين. في المرآة يُفْعَلُ كل شيء قابلٌ للغفران.

سيلّح عليك بعدها كي تدخلي معه. ولكنك في تلهفك تغادرين مخلّفة البيت وراءك وتنعـطفين مبتعدة عن الشاطيء. أنت لا تلتفتين عائدة. ويبقى البيت المحكوم عليه خلفك. تمشين باتجاه النهر وحُمّاك تتدفق نحوك. تتدفق وتعبرك. قليلاً وتخمد توسلاته، وفي تلك اللحظة تحديداً تكونين بلا استعداد، تصبحان خجلين. هذا هو الجزر الذي يسحب البحر بعيداً عن كل الشواطىء. حتى الأنهر تغوص في وقت الجزر، وهناك على الطرف الآخر تأخذ رؤوس الأشجار أخيراً مكان قممها. أسطح بيضاء مشعّة تنام تحتها.

احذري ، سيبدأ الآن بالكلام عن المستقبل، عن أطفال كثيرين، وحياة طويلة، وسيرتعش خدّاه بالحماسة. ستناقشين عما تريدين أبناء أم بنات، وستفضّلين الأبناء. أما هو فيريد ان يُحكم سقفه بحيث تفضّلين. . . ولكنك ذهبتِ الآن بعيداً جداً صوب النهر. لقد استحوذ عليك الخوف. اختفت الأسطح المشعة على الجانب الآخر. الآن لا يوجد هناك الاّ المراعي والمروج. وهنا؟ ابقي عينيك على الممر. إنه يستحيل الى عتمة. معتمًا كأنه يوم

في منتهى الغروب. المستقبل هو الماضي. الماضي ممر على جانب النهر المتلاشي في المروج. ارجعي!

ما الذي سيحدث الآن ؟

بعد ثلاثة ايام لن يعود ليجرؤ على وضع ذراعه محيطاً بكتفك. ثلاثة أيام أخرى ويسألك عن اسمك وتسألين عن اسمه. إنكما الآن بالكاد تعرفان أسماء بعضكما. وبالكاد تسألين. هكذا أفضل. ألم تصبحا غامضين حيال بعضكما؟.

الآن ، وأخيراً ، تسيران صامتين جنباً الى جنب . وإن سألك الآن شيئاً فسيسأل إن كانت ستمطر. من يدري؟ بتِ أكثر غربة. مضى وقت طويل لم تتحدثا فيه عن المستقبل. نادراً ما تريان بعضكما، لكنكما لستما بالغريبين بما فيه الكفاية. انتظري. اصبري. ستصلين هذا الحد يوماً. يوماً ما سيصبح غريباً عليك درجة تبدأين بعشقه في زقاق ضيق قبل الوصول الى منفذ فيه. لكل شيء وقته ومكانه المناسبان. لقد حان ذلك الآن.

«لن تطول أكثر» ، قالوا من خلفك. «لقد حانت النهاية».

ماذا يعرفون عن النهاية ؟ أليست كل الأشياء مجرد بدايات؟

سيأتي يوم ترينه فيه كأول مرة. وسيراك هو كذلك، لأول مرة، وهذا ينبغي ان يُقال، ولن يُكرر. ولكن لا تخافي. فأنت لا تحتاجين الى أخذ الاذن بالانصراف من أحد. لقد فعلت هذا في زمن بعيد. كم هو حسن أنك قمت بهذا!

سيكون يوماً خريفياً، مفعمًا بالتوقعات حتى ان الفواكه ستعود ثانية الى أزهار، كما هي دائمًا، الخريف بهذا الدخان المشع وبالخيالات التي ترتمي كالشظايا بين خطوات المرء، حتى يمكن ان تجرحي قدمك عليها، حتى يمكن أن تقعي عليها عندما تُرسَلين الى السوق من أجل شراء تفاح، يمكنك ان تقعي من أجل أمل عزيز وسعادة. يأتي شاب ليساعدك. يشّد سترته على نفسه ويبتسم ويؤرجح قبعته بيديه ولا يعرف ماذا يقول. لكنك في غاية السعادة عند هذا الضوء الأخير. شكرتِه وملت برأسك الى الوراء قليلاً، فانحّلتْ ثنية قبعتك وسقطتْ على الأرض:

«آه» ، قال ، «أما تزالين في المدرسة؟». استدار ومضى يصفّر لحناً ما. وهكذا افترقتما دون ان تنظرا الى بعضكما مرة أخرى، بهدوء، دون ألم وبدون علم انكما تفترقان.

ربما عدت تلعبين الآن مع إخوتك الصغار، وربما تتمشين معهم قرب النهر، في

الممر عند النهر تحت جار الماء●. وهناك، كالعادة، الأسطح البيضاء المشعة بين قمم الأشجار. ماذا يحمل المستقبل؟ لا أنباء. جلبَ لك اخوة، ضفائر لتتأرجح، كرات لتقذف. لا تغضبي من المستقبل فهذا أفضل ما يحمله. باستطاعة المدرسة أن تبدأ.

أنت ما تزالين صغيرة، وينبغي أن تستمري بالسير حول الملعب بين الزنابق طوال حصّة الفراغ، وتصفّرين وتضحكين من بين أصابعك. انتظري سنة أخرى وسيسمح لك بالقفز فوق الحبل والتشبث بالأغصان الصغيرة المعلقة على الجدران. لقد تعلمت لغات أجنبية ولكنها ليست بالسهولة التي كانتها. إن لغتك أكثر صعوبة. ستكون قراءتها وكتابتها أكثر فأكثر صعوبة. ولكن الصعوبة الأقصى هي نسيان كل شيء. واذا كان عليك أن تعرفي كل شيء عند الامتحان الأول، فمسموح لك الآن أن لا تعرفي أي شيء إضافي. فهل ستنجحين؟ هل ستكونين هادئة بما فيه الكفاية؟ اذا كنت خائفة درجة أن لا تفتحي فمك فكل شيء سيكون على ما يرام.

تعلّقين القبعة الزرقاء، التي يعتمرها جميع التلاميذ الأطفال، على المشجب، وتغادرين المدرسة. إنه الخريف مرة أخرى. استطالت الأزهار مذ أصبحت براعم، والبراعم أصبحت لا شيء، واللاشيء أينع ثانية. في كل مكان هناك الأطفال الذين، مثلك، اجتازوا امتحاناتهم، يقفلون عائدين الى بيوتهم. إنكم جميعا لا تعلمون شيئاً إضافياً. تذهبين الى البيت، والدك ينتظرك واخوتك الصغار يصرخون بأعلى أصواتهم ويشدّون شعرك. تهدّئين من صخبهم وتريحين والدك.

قريباً يعود الصيف بأيامه الطويلة. قريباً وتموت أمك. أنت ووالدك، أنتما الاثنان، تأخذانها بعيدا عن المقبرة. وطوال أيام ثلاثة تستلقي بين الشموع المبقبقة كما فعلت أنت. تطفئين كل الشموع قبل أن تستفيق. ولكنها تشمّ الشمع وتنهض نفسها مستندة على ذراعيها وتشكو من الفقدان بهدوء. عندها تقف وتستبدل ملابسها.

كان أمراً طيباً أن تموت أمك، فأنت لا تقدرين على معالجة الأمور طويلاً مع إخوتك الصغار. ولكنها الآن هناك. إنها تشارك الآن في كل شيء وتعلّمك كيف تلعبين بشكل أفضل. فالمرء لا يمكنه أن يكون جيداً للغاية في هذا. إنه فن غير سهل، ولكنه ليس الأصعب بأي معنى من المعاني.

● شجر حرجي يألف الماء ـ المورد ـ.

أصعب الأشياء ، في كل الظروف، ستبقى : أن تنسي كيف تتكلمين وأن تفقدي موهبة المشي ، أن تغمغمي بلا أمل وأن تدّبي على الأرض . وأخيراً أن تُغَلَّفي بالتأثر الشديد .
أصعب شيء هو تحمل كل الوهن والاكتفاء بالتحديق فقط . اصبري ، سريعاً وسيكون كل شيء على ما يرام . الله يعلم اليوم حين تصيرين ضعيفة بما فيه الكفاية .

انـه يوم ميلادك . أتيت الى العـالم وفتحت عينيك وأغلقتهما ثانية بسبب الضوء القوي . الضوء يدفيء ترنحك ، تشدين نفسك في الشمس، إنك هناك . إنك تعيشين .
والدك يتلوى فوق نعشك .

«حانت النهاية» ، قالوا من خلفك ، «لقد ماتت» .

اهدأي ! دعيهم يتكلموا !

خوليو كورتزار JULIO CORTAZAR

- ولد خوليو كورتزار عام ١٩١٤ في بروكسل. وعاش في الارجنتين. انتقل عام ١٩٥١ الى فرنسا ليعيش هناك معظم سني حياته.
- أحد الكتّاب الطليعيين، ومن الأدباء الغرائبيين، وأحد أهم كتّاب أميركا اللاتينية الذين عاشوا في المنفى الاختياري.
- من أعماله: «أسلحة سرية» ١٩٥٩، و«نهاية اللعبة» ١٩٥٦، و«نحب غلندا كثيرا»، و«مكسيكو» ١٩٥٦، و«دورة النهار في ثمانين عالماً» ١٩٦٧، و«الجوائز» عام ١٩٦٠.
- توفي في فرنسا عام ١٩٨٤.

تتابع الحدائق Continuity of Parks

من كتاب: End of the game and other stories.

- Random House. 1967

خوليو كورتزار

تتابع الحدائق

بدأ بمطالعة الرواية منذ أيام. وكان قد وضعها جانباً لانشغاله في مؤتمر طارىء لرجال الأعمال. ثم عاد الى الرواية مرة أخرى حين استقل قطاراً متوجهاً صوب مزرعته. وشعر بأن اهتمامه بعقدة الرواية يتنامى باطراد. في ذلك المساء كتب رسالة الى مدير أعماله ناقش فيها مسائل تتعلق بأملاكه، ثم عاد الى غرفة مكتبته الهادئة المطلة على حديقة السنديان، وانكب على الرواية.

جلس مسترخياً في كنبته المفضلة. وكان ظهرها باتجاه الباب ـ لو خطر له خاطر يتعلق بامكانية اقتحام الغرفة من قبل غرباء لأزعجه ذلك ـ مرر يده على القماش المخملي الأخضر، وهو يطالع الفصول الأخيرة من الرواية. وسرعان ما تذكر أسماء شخوص الرواية وصورهم دون عناء. ما إن تابع القراءة حتى بسطت الرواية سحرها عليه. وأحس بلذة النأي عما يحيط به مع قراءة كل سطر. وغمره شعور بالراحة حين أراح رأسه على المخمل الأخضر الذي يجلل مسند الكنبة المرتفع، وحين أحس أن سجائره في متناول يديه، وأن هواء المساء يرقص بين أشجار السنديان تحت نوافذه العريضة.

وامتصته الرواية، وأخذته معضلة البطل والبطلة، حتى باتت الصور والمشاهد تتجسد متلونة متحركة، وحتى شعر أنه بات يشهد اللقاء الأخير في الغرفة الجبلية.

وصلت المرأة أولاً، وكانت قلقة. الآن يدخل العاشق وقد جرح غصن شجرة وجهه. مسحت المرأة الدماء بقبلاتها، لكنه أعرض وأشاح. لم يأت ليمارس طقوس عاطفة سرية، يصونها عالم من الأوراق اليبوس الجافة، وممرات تمر خلسة عبر الغابة.

المدية في صدره تحت القميص دافئة. انحدر حوار نابض كما نهر من الأفاعي، وبدا

وكأن هذا الحوار قد قدر منذ الأزل. حتى تلك القبلات التي حامت حول جسد العاشق كأنها لتبقيه في مكانه، بدت وكأنها ترسم خطوط الجسد الآخر الذي تبغي تحطيمه. لم ينس شيء. كل شيء خطط واستعد له: الأخطاء المحتملة، طريقة تغطية الجريمة، الخ. منذ الآن تكتسب كل لحظة اهميتها ووظيفتها المحددة مسبقا. وكان الرجل والمرأة قد حفظا المخطط الموضوع بدم بارد، عن ظهر قلب.

الظلام بدأ يسدل ستارته.

انفصلا عند باب الغرفة الجبلية دون أن يلتفتا، وراح كل منهما يستعد لتنفيذ المهمة التي تنتظرهما. توجهت المرأة نحو الممر الشمالي. واتجه هو نحو الممر الذي يواجهه. التفت نحوها، فرأى شعرها المنسدل يتطاير وهي تركض. أخذ يركض بدوره، ماراً بالأشجار والأغصان حتى بات قادراً على رؤية ممر الأشجار الموصل الى البيت من خلال ضباب العتمة. لم يكن من المفترض أن تنبح الكلاب. فلم تنبح. وكان من المفترض أن يكون مدير الأعمال غائباً في تلك الساعة. وهكذا كان فعلاً. صعد الرجل الدرج الصغير ودلف الى البيت. سمع صوت المرأة، وكان أعلى من وجيب قلبه. مر بغرفة زرقاء، ثم بصالة، ثم بدرج ذي بساط. في أعلى الدرج بابان. لا أحد في الغرفة الأولى. لا أحد في الثانية.

باب الصالون ، ثم المدية في اليد، النور يندلع من النوافذ العريضة، ظهر كنبة مجللة بمخمل أخضر، رأس الرجل الذي يقتعد الكنبة ويطالع رواية.

جورج لويس بورخز JORGE LUIS BORGES

- ولد جورج لويس بورخز في بوينس آيرس عام ١٨٩٩ ، وتلقى تعليمه في أوربا .
- أحد أهم كتّاب هذا العصر. له عدة مجموعات من القصائد، والقصص القصيرة، والمقالات.
- حاز عام ١٩٦١ ، بالمشاركة مع صموئيل بيكيت، على جائزة الناشرين الدولية .
- منحته «مؤسسة انجرام ميرل» جائزتها عام ١٩٦٦ لأدبه المتميز.
- حاز على درجة الدكتوراه في الكتابة من كل من جامعتي كولومبيا واكسفورد . ولقبته مجلة «التايم» بـ«أعظم كاتب بالاسبانية اليوم»، بينما وصفته النيويورك هيرالد تريبيون على انه «اكثر كتّاب أميركا الجنوبية عبقرية».
- مدير المكتبة الارجنتينية الوطنية.
- توفي عام ١٩٨٦ .

من كتاب :

- الأســـير
- متاهتا الملكين
- بورخز وأنا

The Aleph and Other Stories
E.P. Dutton. New York.

الأسـير

تُروى هذه القصة في واحدة من القرى الحدودية القديمة: قد تكون «جونين» أو «تابالوكين». تحكي عن غلام فُقد إثر غارة هندية. قيل آنذاك أن المغيرين أخذوه معهم. وقد بحث عنه والداه ولكن بلا جدوى.

بعد سنوات عديدة حدّثهما جندي كان قد عاد لتوه من منطقة هندية عن متوحش ذي عينين زرقاوين وانه قد يكون ابنهما.

بعد بحث طال وجد الوالدان الإبن (لم نقف على ظروف البحث والاستقصاء وأنا غير قادر على اختراع ما لا أعرفه) واعتقدا أنهما عرفاه.

الرجل الذي تشي هيئته بأنه نشأ وعاش حياة بدائية ما عاد يفهم مفردات اللغة التي كان يحكيها أيام طفولته. أمام البيت توقف ـ ربما لأن الآخرين توقفوا ـ. راح يحدّق الى الباب وكأنه لم ير باباً في حياته. فجأة خفض رأسه وأطلق صرخة، وانطلق عبر المدخل ثم الفناءين الطويلين مندفعاً نحو المطبخ.

دون أن يتردد دسّ ذراعه في تنور (فرن) المدفئة الملوثة بالسخام وتناول سكيناً صغيرة ذات ممسك أشبه بالقرن كان قد خبأها أيام الطفولة هناك.

اشتعلت عيناه بالفرح وانتحب أبواه لأنهما وجدا ابنهما المفقود.

ربما تلاحقت الذكريات بعد ذلك، لكن الهندي لم يستطع أن يعيش في بيت محاصر بالجدران، وفي يوم من الأيام ترك البيت ليعود الى الأمكنة المفتوحة. أحب أن أعرف كيف شعر في تلك اللحظة المذهلة حيث امتزج الماضي بالحاضر، أحب أن أعرف اذا ما كان الإبن المفقود قد ولد مرة أخرى ومات في تلك اللحظة المشوشة، أو أنه استطاع أن يتعرف ـ مثل طفل أو كلب ـ على أهله وبيته.

١٩٥٦

جورج لويس بورخز

بـورخــز وأنـا

الحوادث تقع للآخر، لبورخز . أمشي في شوارع بوينس أيريس المديدة، أقف بين الحين والآخر - ربما بسبب من العادة - لأنظر الى قوس مدخل قديم أو بوابة ذات حواجز من القضبان. تصلني أخبار بورخز من خلال البريد، وأقرأ اسمه خطَفا في لجنة اساتذة أو في قاموس الأسماء أو موسوعات السير الذاتية.

أحب الساعات الرملية، والخرائط، وأسلوب طباعة القرن الثامن عشر، وجذور الكلمات، ورائحة القهوة، ونثر «ستيفنسون». الرجل الآخر يشاركني هذه الميول، ولكن بطريقة استعراضية تحولها الى تصرفات مسرحية متكلفة. من المبالغ فيه أن أقول أن علاقتنا سيئة. أنا أعيش، أترك نفسي تعيش، حتى يكون بوسع بورخز أن ينسج حكاياته وأشعاره، وهذه الحكايات والأشعار هي مبرري. ليس من الصعب عليّ أن أعترف بأنه تمكن من كتابة بضعة صفحات قيّمة. لكن هذه الصفحات لا تستطيع إنقاذي. . ربما لأن الأشياء الجيدة لا تعود ملكاً لأحد - ولاحتى للرجل الآخر - لكنها تصبح ملكاً للخطاب أو التراث. في أية حال، مكتوب عليّ أن أضيع مرة واحدة والى الأبد، لحظة ما مني فقط ستبقى في الرجل الآخر. رويداً رويداً كنت أسلم كل شيء له، على الرغم من امتلاكي للدليل القاطع بأنه مزوِّر ومبالغ. قال سبينوزا إن كل الأشياء تحاول أن تكون نفسها. الحجر يرغب في أن يكون حجراً، والنمر يرغب في أن يكون نمرا. أنا سأبقى في بورخز، وليس في نفسي، (اذا كنت شخصاً). لكنني أرى نفسي في كتب الآخرين أو في نغمة قيثارة أكثر مما أرى نفسي في كتبه.

منذ سنوات، حاولت التخلص منه. ومضيت من أساطير المناطق الفقيرة من المدينة

الى ألعاب مع الزمن والأبدية، لكن هذه الألعاب باتت الآن جزءاً من بورخز، وعلي أن أتحول الى أشياء أخرى. وهكذا فان حياتي هروب، وأنا أفقد كل شيء، وكل شيء متروك للنسيان أو للرجل الأخر.

من منا يكتب هذه الصفحة.. لا أدري.

١٩٥٦

متاهتا الملكين

روى مؤرخون معتمدون ـ والله أعلم ـ أن ملك جزر بابل جمع في يوم من الأيام مهندسيه وكبار السحرة والعرافين وأمرهم أن يشيدوا له متاهة* معقدة الى حد يجعل كل ذي عقل راجح يمتنع عن الدخول اليها. فاذا ما دخلها شخص ما تاه فيها.

لكن انشاء هذه المتاهة اعتبر ضربا من التجديف في تلك الأيام، لأن الأعاجيب والمعجزات تقتصر على الله. . ولا تشمل البشر. وهذه المتاهة أشبه بمعجزة.

ذات يوم، وبعد مرور الزمن، أقبل ملك عربي ليزور الملك البابلي في بلاطه. فرغب الملك البابلي في مداعبة العربي والكشف عن سذاجته، فجعله يدخل في متاهته العجيبة. تاه الملك العربي وشعر بالاهانة والاضطراب وظل تائها حائرا حتى الليل. عندها قرر ملك بابل أن يساعده ففتح له بابا وأخرجه. كظم الملك العربي غيظه، ولم ينبس أو يتذمر. لكنه دعا ملك بابل الى زيارته قائلا انه هو أيضا يملك متاهة في بلاده، وانه ـ ان شاء الله ـ سيريها لملك بابل في يوم من الأيام. ثم عاد الى بلاده. فجمع جيوشه وهاجم أقاليم بابل فخرب قصورها، وهزم سكانها، وأسر ملكها. فقيده الى جمل رشيق سريع وجاء به الى الصحراء. ظلا يجوبان الصحراء ثلاثة أيام.

بعدها قال الملك العربي للأسير:

ـ يا ملك الزمان، وتاج هذا القرن. لقد استدرجتني في بابل الى متاهة معدنية تزدحم فيها السلالم، والأبواب، والجدران، وقد قدر الله الآن أن أريك متاهتي. حيث لا

* المتاهة هنا تعني مكانا كثير الممرات والأزقة غير النافذة. أي شبكة من المجازات المعقدة تفصل ما بينها جدران مرتفعة.

سلالم للارتقاء، ولا أبواب للدفع ، ولا ممرات لانهائية تتعب المرء وتنهكه، ولا جدران تسد الطريق في وجهه.

ثم فك قيد ملك بابل وتركه في جوف الصحراء ليموت عطشا وجوعا.

وسبحان الحي القيوم .

RUTH PRAWER JHABVALA روث بروير جهابفالا

- ولدت روث جهابفالا في ألمانيا من أبوين بولونيين، وقدمت معهم الى انكلترا في ١٩٣٩.
- درست في انكلترا، وتخرجت من جامعة لندن، وتزوجت من مهندس معماري هندي.
- كتبت ثمان روايات وأربع مجموعات من القصص القصيرة. بالاضافة الى انها قامت بكتابة عدة نصوص سينمائية، من ضمنها: «شكسبير والآه»، و«سيرة أميرة». كما كتبت بضعة تمثيليات للتلفزيون.
- نالت عام **١٩٧٥** جائزة بوكر Booker Prize على روايتها: «قيظ وغبار»، تلك التي حازت من أجلها على جائزة أفضل كاتبة نص سينمائي أيضاً. كما انها في العام **١٩٨٤** حصلت على تقدير مؤسسة ماك آرثر في الولايات المتحدة ـ وهو تقدير رئيس يتمثل في منح مبلغ **٥٢** ألف دولار لمدة خمس سنوات.

THE AWARD الجائـــزة

من كتاب: Like Birds, Like Fishes

PANTHER, Granada Publishing, 1984.

الجائــزة

كان ديف براكاش قد التقى بالعديد من أمثال هؤلاء الشبان خلال السنوات التسع الماضية. طلاب أبحاث، محاضرون مساعدون، صحفيون قلما أخذت مقالاتهم طريقها للنشر ـ لقد بدوا وكأنهم الوحيدين الذين أولوه الاهتمام.

«إن ما أعتزم انجازه في بحثي»، قال الشاب: «هو تبيان كيفية تطور الكتابة الهندية منذ الاستقلال».

«أي نعم»، قال ديف براكاش، هازا رأسه الكبير، وذقنه الشحيمة المتدلية، وشعره الطويل المهوش الذي طفق الشيب يغزوه. كان لديه الاسلوب الأدبي الفخم والمؤثر، والذي لم يكشف عن الشعور بالفشل والاهمال الذي يشعر به.

«حبذا لو تستطيع اعطائي بعض اللمحات عن الكتابة المعاصرة»، قال الشاب، «وعلاقتها الخاصة بأعمالك».

«إن أعـمالي..»، ردد ديف براكاش وقد استثير اهتمامه. مرر يدا ضخمة فوق حاجبيه الفاخرين. «مهما كان الشيء الذي كتبته. مهما كان ضئيلا ما أحرزته، فان همّي الدائم كان: الهند». الهند التي بادلته ذلك بتجاهله، وبتضييعه، وبتجاوزه. لقد أمضى الخمس والعشرين سنة الأخيرة في المنفى، حسب تعبيره، وحتى الآن إذ عاد الى الوطن، فانه لا يزال يشعر بالنفي اكثر من أي وقت آخر. ورغم ذلك، فلقد رجع حاملا آمالا كبيرة كهذه: طاغور اليوم. هذا ما كان يأمل بأن يلقبوه به. «ماذا بوسعي أن أحدثك عن أعمالي؟. انها موجودة. تُقرأ أو تُتَجاهل. تُحب أو تُحتَقر».

كان الشاب، الذي يفكر ببحثه، أكثر عملية: «لو أنك تحدد لي موقعك بالنظر الى

مواقع كتّاب هنود معاصرين».

ارتكـز ديف براكاش الى مسند المقعد. تطلع الى السقف بابتسامة تسامح على شفتيه: «بالطبع، لقد كنت، دائما، شيئا خارجا عن المألوف».

دخلت أخته أوشا وقالت: «سنقيم حفلة عشاء هذا المساء». ولم تعط أي انتباه للشاب، مثلها مثل جميع النساء زاهيات الثياب، جيدات التغذية من نمطها. انها تمتلك طباعا فظيعة.

«عشاؤكِ، عشاؤكِ الممل»، قال ديف براكاش بابتسامة تآمرية وجهها الى الشاب الذي كان، وبعشوائية، ينظر الى أوراقه في حضنه بتحرج واضح.

«هل ستحضر؟». سألت أوشا، غير آبهة بتعليقه. إن معظم الأمور لا تؤثر بها. فهي امرأة طويلة، بطيئة الحركة، ثقيلة ذات وجه يرتسم فيه شارب بخفية، حيث تنظر عيناها المنذهلتان بملل وعدم رضى.

ونظرا لطبيعته الاجتماعية، فان ديف براكاش كان يبغض حفلات العشاء تلك التي تقيمها أخته وزوجها. فالطعام كان ثقيلا دائما وبكميات هائلة. والمدعوون بالغي الثراء ووافري البدانة. وما كان لدى أي منهم شيء ذو أهمية يقوله. ولكن ـ إن أرونا مرتبطة هذا المساء، وليس ثمة مكان آخر يذهب اليه؛ لذا، فلقد زيّف قائلا: «اذا أمرتني!». إن حياته الاجتماعية محدودة هذه الأيام.

فتحت خزانتـه: «ماذا سترتدي؟». ونظرت الى الأرفف من الأعلى والأسفل، و«طرقعت» بلسانها. «لم يكن عندك شيء جميل ابدا». لقد قصدت بـ«جميل» قمصانا حريرية، وسترات انكليزية الطراز. فملابسه التي يرتديها كانت ذات طابع هندي صرف من ناحية. وكانت من ناحية ثانية بوهيمية للغاية إذ ليس لديه غيرها سوى الثياب الوطنية الطابع المُخَاطة من القطن المنسوج منزليا.

«ماذا تتوقع من «مخربش» فقير مثلي؟». أجاب بابتسامة أخرى تجاه الشاب الذي استجـاب، هذه المـرة، على نحو خاطيء؛ اذ رفع نظره لا بابتسامة مؤيدة انما بنظرة اندهاش. أُحبط ديف براكاش للحظة: لقد نسي أن الموجودات الدالّة على الثراء المحيطة به ـ الأثاث الثقيل، الأرضيات الرخامية، الفضيّات، والخدم بأرديتهم الموحدة في منزل زوج أخته ـ لم تكن لتنسجم أبدا و«مخربش» فقير. لكنه كان دائما يحب أن ينسب لنفسه صفات كهذه. وكان هذا سهلا في لندن، بالطبع، حيث الغرف الغريبة غير المرتبة التي

استأجرها في «هامبستيد» لم تكن لتدلل على المخصص الرائع الذي يرسل اليه كل فصل عن حصته من أعمال العائلة.

قال الشاب باندهاش: «انني أتقاضى، كمحاضر مساعد، راتبا قدره ٣٥٠ روبية شهريا فقط».

استدارت أوشا عن الخزانة لتنظر اليه بنفور. تنحنح ديف براكاش ومرر يده، بحركة بالغة الأناقة، على شعره المسترسل على كتفيه.

«اذا حصلت على درجة الدكتوراة، فسأتأهل للارتقاء الى محاضر رئيسي وأتقاضى راتبا قدره ٦٥٠ روبية يرتفع الى ٩٠٠ روبية».

فكّر ديف براكاش بانكلترا. ففي الوقت الذي يشعر فيه بالاكتئاب من الهند والهنود يفكر في انكلترا.

«لهذا تراني قلقا من أجل استكمال هذا البحث وارضاء الممتحنين».

فكّر بأشخاص مهمين يستطيع المرء أن يجري معهم أحاديث مهمة. كانت هناك الأمسيات في غرفه في «هامبستيد» وأمسيات أخرى في شقة ايزابيل في «شلسي»: الاضاءة الخافتة، السجائر وأكواب القهوة الساخنة والثقافة، قوم أذكياء يتحدثون في الثقافة والفنون.

أغلقت أوشا الخزانة وجلست على أريكة وقد امتدت قدماها بعيدا عنها. حركت أصابع قدميها التي طليت حديثا، وتفحصتها كما اعتادت أن تفعل. لم يكن من شيء مدروس سلفاً في تجاهلها لوجود الشاب؛ إذ كانت عدم أهميته بالنسبة لها درجة أن لا حاجة للالتفات اليه. لاحظ هذا وتألم، مبقياً عينيه منخفضتين، ضاغطاً ركبتيه الى بعضهما في حركة تنم عن اخفاء لهما في غير ضرورة. تألم ديف براكاش هو الآخر؛ فلقد عاش مدة طويلة بين أناس جعلوا من العلاقات الشخصية عبادة، كما انه حافظ على مسلك اجتماعي مدروس ودقيق، على العكس من أوشا. عاد الى الشاب وبادره بود أكثر مما يشعر به حقيقة: «عليك أن تركز في بحثك»، قال مبتسماً بلا مبرر: «على أننا جميعاً مجرد متطوعين».

رتب الشاب الأوراق على ركبتيه، وتابع وضع الأسئلة التي جهزّ محاورها: «أود أن أعرف رأيك بقصيدتك «بلادي زهرة في فؤادي».

استقر ديف براكاش على ديوانه الوثير، ضاغطاً خدّيه على يديه الضخمتين، وقال بمزاج غني بالذكريات: «دعني أحدثك عن ظروف القصيدة التي كُتِبَتْ من خلالها».

كانت أوشا تتثاءب. فتحت فمها على وسعه ولم تكترث أن تستره بيدها.

«كنت منفيا عن وطني. أوه، ربما، ومع الأيام، لم أعان فعلاً ـ كان لدي أصدقاء. شاهدت المسرح، وكانت هناك حفلات ـ كوّنت لنفسي شكلاً من أشكال الحياة هناك». كان لديه أصدقاء كثر في انكلترا. بدين وحشي في الثياب الهندية الضيقة التي كان يرتديها، وبعينيه السوداوين اللتين يمكن للمرء، إن أراد، أن يقرأ فيهما كل آلام الشرق. كان دائم النجاح مع النساء الانكليزيات. كما كانت لديه عواطفه الوطنية، التي يعلن عنها بصوت خفيض، دافىء، يهتز بالانفعال. يوقظ نقمة مشّعة ضد الاضطهاد في كل دوائر التفكير اليميني المتقدمة التي تحرك فيها. «انها حياة المنفى، أجل، ومع ذلك، ومع الأيام، لم تكن في الحقيقة حياة بائسة. ولكن طوال الوقت...»، وتصلّبَ على الديوان، وأشارت يده نحو قلبه. واشتعلت عيناه: «هنا كان هذا الابتئاس».

هز الشاب رأسه، بينما نهض ظهره باستقامة، وزم شفتيه، ودوّن ملاحظةبقلمه. «ثمة جرح في القلب لا يبرأ»، قال ديف براكاش. أغمض عينيه وكرر متألماً: «الزهرة تنزف. لكن لا دموع، أوه يا قلبي! لا دموع».

قالت ايزابيل : «إن جويي جميلة. ليست امرأة تافهة. شهادة من أكسفورد وتكتب روايات رقيقة عن علاقات شخصية».

لقد فضّلها ، وحتى انه في بعض الأحيان أحبها ـ ولكنه كان دائم الاحباط بدافع النقص الذي يشعر به عميقاً حيالها، هذا العجز عن الشعور بالعاطفة. «قطرة قطرة نزفت زهرتي دمها». قال، ولم يزل يساوره الشعور ذاته، أصوات الدموع المؤثرة التي دفعته لكتابة القصيدة. فتح عينيه اللتين طفحتا الآن بالدموع، مثلما يحدث دائماً كلما جيء على ذِكر أعماله، ورأى أن الشاب قد تأثر وانفعل أيضاً. وحتى أوشا أطرقت، إذ أنها، كذلك، تؤخذ بالانفعالات العميقة.

«انها قصيدة جميلة ياسيدي»، قال الشاب. نكّس ديف براكاش رأسه بفخر. كان ذلك حقاً. لقد تآلف وصحبته في انكلترا. حياة ثقافة، اهتمام متملق بنفسه وبعمله، بينما لم يعثر على شيء من هذا في الهند. انما يحدث من وقت لوقت، كما الآن، أن يفرح لعودته الى وطنه: عندما يشعر بحب مفاجيء وتفهم لعمله ـ أي لشخصه، لروحه ـ والذي اكتشف انه لا يناله الآ من الهنود.

قالت أوشا : «إن هذا لمؤثر». كانت مادّية حسّية، ووقحة حتى. مغرمة بالطعام

والثياب وتتباهى بالمال. ورغم هذا، فهي أكثر من ذكية. . ايزابيل الحساسة كان لديها ذاك الاحساس الجيد بالأشياء العميقة والشاعرية.

«يسألني الناس أحياناً»، قال ديف براكاش: «كيف تستطيع، أنت الهندي، احتمال العيش في المنفى بعيداً عن وطنك؟. وكان هناك جواب واحد باستطاعتي تقديمه». والتمعت عيناه المتوجعتان بتحديقة في المسافة حال تفوهه بهذا الجواب: «إن هذا لأفضل للمرء من العيش كعبد في وطنه». لكن هذا لم يعد جواباً مقنعاً يقدمه على إثر الاستقلال. لم يعد قبل ١٩٥٠. بعد ثلاث سنوات على الاستقلال. كان قد اعتاد على انكلترا وغرفه الحميمة، النائسة الضوء، في هامبستيد، والتي كان من الصعب عليه تركها.

«أي نوع من الحياة يمكنك أن تعيشها هناك؟». قالت أوشا بشيء من الاحتقار. لقد فتنها الكثير من الأشياء الانكليزية، كالكنبات الفخمة، وقواعد الاضاءة الجانبية، وحقائب اليد الجلدية. لكنها تأنف من الانكليز لأنواع طعامهم، وطقسهم، والطريقة التي يعيشون بها، وربما أيضاً لكونهم انكليز وليسوا بدناء وحسّيين كما هو حالها.

«انها لحياة منفى»، قال ديف براكاش بلامبالاة. لكن الحقيقة أنه لم يشعر حقاً بوضعه كمنفي الا بعد الاستقلال. عندها اكتشف أن الناس ما عادوا ينظرون اليه بنفس المنظار. لا بل بدا، رغم أن أحداً لم يصرّح بهذا، أن ثمة تياراً خفياً يتعرض لسمعته يكمن في سبب عدم عودته الى وطنه. وفي الحقيقة كان هذا سؤالاً موجهاً اليه من نفسه دائماً، وكان هو دائم الانتظار لإجابات عليه.

قال الشاب: «بالنسبة لبحثي فانني أود الايضاح بأدلة مقتطفة من الأقوال. . ». لكنه قبل أن ينهي جملته حدثت جلبة قدوم شخص في الخارج، وصاح صوت انثوي: «أهو هنا؟». وعندها فُتح الباب، ودخلت ـ أرونا، مكسوة بالحرير، تجلجل بالأساور، يتألق وجهها، يبتسم فمها بسعادة وحبور، وتوقع الجميع متلهفين سماع بعض الأخبار المثيرة.

«احزر ماذا سمعت اليوم؟»، توجهت الى ديف براكاش، وهي تشع نحوه بتفاخر وعشق. خطت باتجاهه أكثر، وأشارت اليه بيد ربلة مكسوة بالمجوهرات: «يا رجلي صاحب الكلمات العظيمة!». قالت، وكانت في أسلوب قولها معانقة اياه بصوتها وبعينيها، مما حدا بالشاب الى النظر الى أوراقه. أومأ ديف براكاش نحوه بذقنه: «هذا الشاب يكتب بحثا عن الأدباء الهنود المعاصرين».

استدارت أرونا اليه. لم تكن قد لاحظته عند دخولها عليهم. كانت تتحلى بأخلاق

أفضل من أوشا، وما كان من عادتها ازدراء غير المهمين من الناس. التفتت اليه الآن، بعينيها المتألقتين، وابتسمت له، وهتفت بصوت يتسم بالسعادة معبرا عنها: «هاك أعظمهم جميعا!»، مسددة ابهامها الى ديف براكاش الذي تساءل، حقيقة، عما جرى لها؟. «أتعرف ماذا سمعت اليوم؟»، قالت للشاب، وتوهجت وابتسمت له، دافعة اياه لأن يحزر. غير انها لم تقو على الانتظار. ضمّت يديها الى بعضهما، ورمت برأسها الى الوراء، وأدلت بتصريحها: «لقد فاز بجائزة الأكاديمية!».

قال ديف براكاش: «من أخبرك؟». كان قلبه يخفق بسرعة مليئا بالاثارة، وبمخاوف أن ربما يكون الخبر غير صحيح.

كانت أوشا وأرونا تتعانقان. لقد مضى زمن على أوشا مذ اتخذت موقفاً رافضاً لأرونا، لكنهما الآن على أفضل حال من الصداقة. تعانقتا بلطف ونعومة ودعت كل واحدة منهن الأخرى بأختي. «انه ليوم فخر». قالت أرونا، وقد ترقرق الدمع في طرف عينيها.

نهض الشاب بدوره. قال: «كم أنا سعيد لأكون أول من يقدّم لك تهانيه». لم تدعه اوشا يكمل؛ إذ سألت أرونا: «أين سمعت هذا؟».

«لدي مصادري الصغيرة». أجابت، بابتسامة خبيثة، انسجمت معها.

«هذا كله هراء»، قال ديف براكاش بصوت جاهد أن يكون هادئاً.

«اذن، فان انتصارك وسعادتي هراء؟». واستدارت اليه بخفة. وأحاطت بكتفيه بطريقة أجبرت الشاب على الاطراق ثانية. هزّ ديف براكاش كتفيه مبتعداً عنها، بلا مبالاة، إذ كانت مشاعره حيالها على الدوام مزيجاً من حب وسخط. وفي هذه اللحظة، كما حدث كثيراً، كان السخط فقط. «لو أنك تخبرينني..». قال.

«أهو في الجريدة؟». سألت أوشا: «أنا لم أر الخبر هذا الصباح». وكان من الصعب أن تراه، إذ لم تكن في الحقيقة تهتم بأي شيء.

«غوجال أخبرني.». قالت أرونا.

«غوجال!». تساءل ديف براكاش بازدراء لا باستغراب، الشيء الذي لاحظته أرونا، فقالت: «اذا لم يعرف هو، فمن يعرف اذن؟. انه ما يزال الوزير».

«أتتحدثين عن السيد غوجال، الوزير في الحكومة؟»، سأل الشاب بخشوع واحترام.

«بالطبع عليك أن تصدقي كل ما يقوله»، غمز ديف براكاش.

«ولم لا؟». وابتسمت أرونا الآن بسلوك متحد وقد انتفخ ثقبا أنفها. استعدت لعراك. كان لديها ميل حقيقي للعراك.

«منذ سنين وهو يتظاهر بأنه يحبك. .».

«ولماذا يتظاهر؟»، قالت أرونا: «لماذا لا يحبني؟»، وابتسمت بانتصار متغطرس.

«يكفينا هذا.». قال ديف براكاش، غافلا عن وجود الشاب.

حدجته بنظرة تدّعي الجزع: «كم هو تفكيرك غير طاهر.».

قال الشاب: «كم أنا سعيد لأكون أول من يقدم لك تهانيه.».

«غوجال»: شخر ديف براكاش معبّرا عن ازدرائه.

«اذهب إذن، اذهبْ». صرخت: «اذهبْ لترى إن كان بوسعك أن تتأكد من مصادر معلومات أفضل!». وارتكزت بذراعيها على خاصرتيها. بتحد. كانا كثيري التشاحن والشجار، هي وديف براكاش. احتجاجا على بعضهما كثيراًوتغاضبا. لا بل تبادلا قرص بعضهما وصفع بعضهما في سورات غضب مشتركة متبادلة. كان هذا مختلفاً جداً عن حياة ديف براكاش مع ايزابيل الهادئة العاقلة.

«سأفعل هذا بالتأكيد!». قال ديف براكاش وسار خارجاً الى جهاز الهاتف. لكنه، وحال أن صارت يده فوق السماعة، تيقّن أن ليس من اللائق به أن يحاول التأكد. فرجال الكلمة البارزين لا يأبهون بالجوائز: إذ يجب أن تُحمل اليهم بواسطة مبعوث محترم. وأدار رقمًا. أي رقم.

وفي الغرفة، قامت أرونا بتهدأة نفسها، وجلست بكل اتزان على الديوان: «إن كلمة وزير ليست بكافية بالنسبة له»، قالت شاعرة بالمهانة. لكنها عادت، بعد لحظة، لتبتسم وتتوهج ثانية. ضمت يديها الى بعضهما وقالت: «أوشا، تصوري، جائزة الاكاديمية!». ثم توجهت نحو الشاب قائلة: «انه لرجل عظيم، شاعر عظيم!».

«أنا أشعر بالفخر والشرف»، قال الشاب: «لأكون أول من. . .».

«لقد عانى في حياته من أجل بلاده وفنه»، قالت أرونا. «تصوّرْ. لقد عاش لمدة خمس وعشرين سنة في المنفى ـ خمس وعشرين سنة، لأنه لا يحتمل أن يكون عبداً».

«إن شتاءات إنكلترا باردة جداً»، قالت أوشا. «لقد عانى كثيراً في كل عام نتيجة تقرح يديه وقدميه بسبب البرد والرطوبة».

«وعندما عاد لم يمنحوه التكريم الذي يستحقه»، قالت أرونا. «أحياناً لا تعرف

الهند كيف تكّرم رجالها العظام. ماذا عساه يفعل هناك عند الهاتف؟». قفزت وركضت نحوه. كان يدير رقمًا عشوائياً آخر. أخذت السماعة من يده وهمست: «إن الخبر حقيقي. صدقاً». وضغطت بجسدها عليه. لحمٌ طري على لحمٍ طري. «كم أنا سعيدة».

«هذا بعيد الاحتمال. »، قال ديف براكاش. «أنا. . الرجل المنعزل خارج. . ».

«لأول مرة يختارون بصواب». هتفت أرونا. «لأول مرة لا يُمنح هذا التكريم لكاتب مأجور!». كانت هذه الجملة الأخيرة هو من قالها: لقد استخدمها في كل سنة لم تُمَنح له جائزة الدولة، وذهبت الى شخص غيره.

كان الشاب، في الغرفة، مأخوذاً بجو المناسبة، يجري حديثاً مع أوشا: «إن له عظيم الاحترام والتقدير في الدوائر الجامعية»، كان يقول. وكانت أوشا تهرش فخذها شاردة عنه، مما أحدث حفيفا لحرير ثوبها الساري*. «نحن ندعوه بطاغور اليوم». قال الشاب. تابعت أوشا الهرش، لكن أرونا، عائدة ويدها بيد ديف براكاش، هتفت: «أجل. أجل. كم هو حقيقي!». وبعدها ركعت ولمست قدمه بتبجيل التابع ونعمة العاشق.

أنهضها. كان طافحا الآن بالاعتزاز. استدار الى الشاب وقال بتواضع حقيقي: «أنا لست في منزلة السيد».

«سنقيم الليلة حفلة عشاء»، قالت أوشا لأرونا: «هل ستأتين؟».

«كم أود هذا! لكنني وعدت البنات. . . ». إن أرونا، الأرملة، أُمٌ لثلاث أخوات في سن المراهقة هن ثمرة حب بغيض. «سوف نحتفل في يوم آخر. كيف سيكون احتفالنا على شرف بطلنا؟». ورمته بنظرة فاتنة، مؤلِّهة، بحيث أن قلبه ارتعش، وشعر، كما حدث أحياناً، أنه لم يحب أبداً، أبداً، طوال حياته الهادئة، الخالية من الأحداث الهامة، انساناً بقدر ما أحبها. «سيجيء الوزير بنفسه لتكريمك. سأدفعه للمجيء». لا شك انها قادرة على هذا، بسببها، وبسبب من مكانة عائلتها المتنفذة في أكثر من مكان. التفتت نحو الشاب وقالت: «أنت أيضاً مدعو الى حفلتنا. أرجوك تعال».

فرك الشاب يديه وشكرها بصوت هدّجه الفرح والتأثر. لم يُدعَ قط الى حفلة قبل الآن. قالت أوشا: «أين ستقيمينها؟». وجالت بخيالها تنقّب في خزانتها، غير واجدة ما يناسب المناسبة، ثم قررت أن تشتري سارياً جديداً.

---

* ساري: الزي النسائي التقليدي في الهند ـ المترجم ـ.

لكن ديف براكاش كان يعاني من الشك من جديد: «غريب أن أحداً لم يبلغني بذلك.»، قال شاخصاً الى أرونا باتهام.

قال الشاب: «هل ستكون حفلة رسمية؟»، كان يفكر مثل أوشا بخزانته التي لا تسعفه بشيء.

«لقد قرروا الجائزة ليلة أمس فقط»، قالت أرونا: «أخبرني غوجال بذلك...».

«غوجال!»، قال ديف براكاش بالازدراء ذاته الذي أبداه قبلاً.

«أنت مجرد غيور»، ردت عليه أرونا، في محاولة لاغاظته، وبعبث امرأة مغناج.

قالت أوشا: «ربما نقيم حفلة في الحديقة».

«ما الذي بدر مني حتى تكون غيوراً». قالت أرونا بصوت خفيض، ناعم، دانية بوجهها من وجهه. لكنه تراجع؛ كان مُثاراً إلّا انه لم يكن في وضع يمكنه فيه أن يحب. وكان مهتاجا منها لأنها ما عملت على التأكد من الخبر.

«سيكون هناك متسع لمزيد من الناس في المرجة». قالت أوشا: «إذا ما قسنا ذلك بالصالون».

وبسرعتها في الاستجابة للراهن، استبدلت أرونا تعبيرات الحب من وجهها، بتقطيبة تكدر: «انه أنا، وليس أنت، من يملك هدفاً». وعبست. أدرك انها تلمّح الى السنوات السابقة على لقائهما. السنوات في انكلترا. ما كانت تعرف كفاية عن تلك السنوات. «وبعد ذلك؟»، توّد أن تسأل بتصميم، بينما هو، مبتسم في عالم الذكريات الحلوة، سمح لنفسه بالتطرق الى تفاصيل حميمة عن حياته مع ايزابيل وأخريات. كانت توّد أن تسمع، متقدة بالتعاطف، وفرحة لأجله إذ حاز على كل تلك السعادة، تقوده الى أن يصير هاذياً سافحاً الدمع توّاقاً، بغير سوية، للعودة الى استعادة الماضي المستحيل. ودائماً، عند هذه النقطة، تباغته بهجوم: «كيف تجروء على التحدث معي عن أشياء كهذه!». تصرخ، وتشرع بشتمه بألفاظ سوقية مذهلة. بعدها يثور عراك ملتهب، ينتهي بها عادة الى القفز خارج السرير وارتداء ثيابها بتعجل مُهَان، بينما هي تشكر الله لكونها تحتفظ بحبيباتها الثلاث، الجميلات، البريئات اللواتي ينبغي أن تعود اليهن، وأن لا حاجة لها به.

قالت أوشا: «إن بامكان جماعة (راجو) أن يزودونا بالطعام. انهم يتقنون حفلات الحدائق».

«لا أحد يعرف إذا كان الخبر صحيحاً. وها أنت تهيئين لحفلة حديقة!». صرخ بها

ديف براكاش فجأة، متخلياً عن دماثته. كان راغباً بالصراخ على أحدهم وحائفاً، في الوقت نفسه، من أن يفعل هذا مع أرونا. وفي الواقع، أنه عندما يكون غاضباً من أحد غيرها، فانها توليه عناية مفرطة، «أنت تعرف أن الغضب يضرّ بك»، ذكّرته بذلك لائمة، وجلست لصقه على الديوان، عابثة بردنيه ومحدثة أصواتاً لتسترضي أسدها المتجهم.

قالت أوشا بهدوء رابطة الجأش : «ينبغي أن تكون الاحتفالات في الوقت المناسب دائمًا». وبغتة التفت الشاب نحو أرونا: «قد لا أقدر على الحضور اذا ما كانت الحفلة رسمية».

«بالاضافة الى أن حفلات الحدائق تستدعي دائمًا انتقاءات خاصة».

«قد لا أوفّر الثياب المناسبة لأرتديها»، شرح الشاب ذلك لأرونا، واطمئن الى تعاطفها، سارداً من غير تفكير: «فكما ترين، من الصعب عليّ شراء الثياب، فعليّ التزامات كثيرة. . . ».

«ولكنه قطعاً سيكون احتفالاً غير رسمي!». صاحت أرونا. وعلى إثر هذا بوقت طويل، وبعد أن بيّن لها عن نفسه وعن حياته بدقة، قال: «إن أمي وعمتي الأرملة تعيشان معي. عليّ أن أعيلهما. كما ان هناك مصاريف المدارس لأولادي ـ عندي أربعة أولاد ـ والايجارات مرتفعة جداً هذه الأيام، وكذلك ينبغي تسديد فواتير الأطباء». وتنهد. . «إن الحياة صعبة جداً عليّ».

وتنهدت أرونا تشاركه همه : «أجل. تخبيء الحياة لنا مِحَناً كثيرة».

«لا أملك أن أصرف على نفسي أي شيء ـ منذ ثلاث سنوات وليس بوسعي شراء ملابس جديدة». ونظر الى بنطاله برثاء وحزن، فرآه وقد انكمش الى الركبتين، والى قميصه. . فكان في غاية النظافة، انما مهترىء عند القبة والردنين. «سيكون من الصعب عليّ حضور حفلتك بملابس كهذه ـ سوف أخجل أمام مدعويك الآخرين».

إن ديف براكاش، الذي عاش في انكلترا خلال مرحلة الثلاثينات الغاضبة، والأربعينات المتسمة بالديمقراطية، والذي تشرّب جميع الأفكار الفضلى، ارتدّ الى سموه الشاعري. ورغم خزائنه المتنفخة، ورأسه الكبير بالشعر الطويل، وذقنه الشحيمة المتهدلة، ورقبته التي تحولت الى ما يشبه مظهر الأسد، الآ انه قال: «يا صديقي»، بصوت عميق، جهوري، آمر: «إن بساطة ثيابك في عيوننا ليست عائقاً، انما هي فضيلة». وصمت لحظات لغاية التوكيد على ما قاله، الا ان أرونا شوشت عليه ذلك إذ هتفت: «في

هندنا*، الرجل البسيط هو من نحترم، الرجل البسيط الذي لا يبغي شيئاً من الحياة! انظرْ الى مهاتمانا**، ماذا كان يرتدي؟. وزرة واحدة، وهذا كل شيء - ومع هذا، أكان ثمة من هو أعظم منه؟».

«كنت في طريقي لأن أقول..»، قال ديف براكاش بصبر وقور: «وبالاضافة الى مثال المهاتما وآخرين من الصفوة العظماء، فاننا نحن الهنود نسبغ كثيراً من التقدير على المظهر الخارجي المجرد».

كانت أوشا، والذي لا يشكل عندها هذا الحوار شيئاً، تشخص الى ما هو أمامها بعينيها الثقيلتين. لوتْ أصبع قدمها وشعرت بعدم رضى عن حياتها، ومع هذا ما كان بمقدورها أن تقول ما تريد أن تقول بدلاً عما قالته.

«إننا..»، قال ديف براكاش جاعلاً يديه فوق ركبتيه المكسوتين والغائصتين في طِماقهما* الأبيضين: «ماديّون بكل ما في الكلمة من سوء». كان الهاتف في الخارج يرن. رفع ديف براكاش يديه عن ركبتيه وقال بفصاحة: «ما معنى وجودي غير جنائن الروح التي أتمشى بها مع حبيبتي.»، مقتطعا هذا من كتاباته.

«كم هذا جميل». قالت أرونا.

دخل خادم ليستدعي ديف براكاش الى الهاتف. وعندما صار في الخارج، قالت أرونا بتنهيدة اعجاب: «انه لشاعر، انه لروح رائعة، انه يرى الأشياء مختلفة عما يراها العاديون».

أخبرها الشاب: «أنا قلق على تحسين وضعي».

«إن واجبنا في الحياة هو أن نكافح.»، قالت بتعاطف.

«اذا ما أكملت بحثي، ونجحت في احراز درجة الدكتوراة، فسوف أؤهل لمنصب محاضر رئيسي».

قالت أوشا، التي تفكر بالساري الجديد التي اعتزمت شراءه: «هناك مجموعة جيدة من حرائر البيناريس* في المحلات». كان صوتها بطيئاً يشوبه التثاؤب الضجر، ورغم انها

---

* الهند خاصتنا. - المترجم -.

** المهتما غاندي خاصتنا. - المترجم -.

* الطماق: كساء للساق من جلد أو قماش (ترد بصيغة الجمع) - المورد -

* نوع من الحرير، أو ماركة ملابس حريرية فاخرة - المترجم -.

تعتبر اكتساب الأشياء الجديدة ضرورة، الاّ انها لم تكن تكّن لها ولعاً حقيقياً.

«سوف أتقاضى راتباً أعلى كمحاضر رئيسي». قال الشاب.

وقف ديف براكاش مسمَّراً عند الباب. توقد وجهه وسط شعره الشبيه بالأنبياء.

«يبدو أن خبركِ صحيح». قال موجهاً حديثه الى أرونا بصوت حاول أن يحافظ على هدوئه.

انتصبت على قدميها. وكذلك انتصب الشاب. وقفا يشخصان الى ديف براكاش.

«جائزة الأكاديمية»، قالت أرونا بصوت لاهث، سعيد.

«لكنك كنت تعرفين..». علقّت أوشا.

«بالطبع كنت أعرف..». هتفت. وانفلتت نحو خزانة المشروب أسفل مكتبه، حيث يحتفظ ديف براكاش بزجاجة روم وكؤوس للضيوف الذين يحبون الشراب. لم تكن خبيرة بفتح الزجاجات، الاّ انها نجحت في ملء أربع كؤوس. «من الضروري أن يكون ثمة احتفال بسيط على الأقل!».

حاول الشاب أن يخلق الأعذار لنفسه - لم يمس الكحول قط - ، لكنها أصّرت. وهكذا وقف أربعتهم يحتسون الروم الذي لا يستسيغه أي واحد منهم. كان ديف براكاش شجاعاً وقادراً على التحمل، يهزه الانفعال. كانت هناك حفلات نشوة في انكلترا، أناس ظريفون سريعو الخاطر، مشروب يُحتسىٰ بمتعة، لكنه ما أحس هناك أبداً بهذا التوحد، بهذا الحب، بهذا الاتحاد الروحي.

قال الشاب: «كم هو مبشّر بالنجاح حضوري هنا اليوم».

«ستنجح أنت أيضاً»، قالت أرونا. وضعت كأسها جانباً، وذرفت دموع فرح: «كم هو باعث للفرح.. فَرَحٌ مثل هذا..». قالت، شاعرة بأنها تحب الجميع.

جرتراد فاسنجر GERTRUD FUSSENGGER

- ولدت جرتراد فاسنجر عام ١٩١٢ في بلسن لأب يعمل ضابطا في الجيش النمساوي. ترعرعت في بوهيميا حيث كان لهذا اكبر الاثر على حياتها مما انعكس في كثير من قصصها القصيرة ورواياتها.
- درست تاريخ الفن والفلسفة في انسبراك، وتزوجت من النحات ألويس دورن، وعاشت في تيرول.
- امتازت قصصها ورواياتها بتناولها للجانب التاريخي، حيث كتبت رواية خصصتها لحرب الثلاثين عاما.
- لها اربع روايات مهمة، وعدد من القصص الطويلة والقصيرة، والمسرحيات، وفي السيرة الذاتية، بالاضافة الى سيناريو فيلم.
- ان هذه القصة «المرأة السائقة» نموذج لكتابة فاسنجر للقصة القصيرة ولمنحاها الشبيه والقريب للشعر.

المرأة السائقة Woman Driver

من كتاب: GERMAN Short Stories

Penguin Books, 1981.

المرأة السائقة

إن ما يؤكده «فيدجا» دائمًا، ببساطة، ليس صحيحاً؛ وهو أن الشيطان يرافقني في اللحظة التي أجلس فيها وراء المقود. أعترف بأنني أسوق بسرعة؛ انها بدراية جيدة. أمن الممكن أن تسوق جيداً بسرعة كهذه؟

المساء . . واضحاً اثر المطر . في الغرب، في البعيد، ثمة الضوء الأصفر الشاحب، والفضاء الذي جُرِفَ نظيفاً وبدا بارداً كاليشب*. تسقط البلدة الآن بعيداً وراء المنحدر. الطريق واضح في تسامقه وانعطافاته المتتابعة. هناك في الأسفل، خلال بقع الضوء، أرى بيت «فيدجا» وبيتي، وهو يرتعش في المسافة. انه يجلس في البيت يقرأ. ويفكر ولا ينبس بكلمة. الساعة تتكتك وعقرباها يزحفان ويدوران. وبين الحين والآخر ينفض «فيدجا» رماد سيجارته الذي سيتكوم في المنفضة.

ما هذا الذي أراه هناك في المرآة الخلفية؟ كرة برونزية بنيّة بلا ملامح . . آه، القمر! يبزغ في الشرق معتمًا متقطع الاشعاع. انه قمر أيلول. يدعونه قمر الصيادين لأن أيلول هو موسم الصيادين كما أظن. يبدو كما لو أنه ينطبق فوق الأرض السبخة والحقول. اطلاقات البنادق. والغزلان تختبيء مرتجفة هلعاً وسط الغابة.

ما الذي تريده أيها النجم القديم البائس؟ إن ضياءك لا شيء. لا شيء الآن في ليالينا الزاهية بفعل أنوار أخرى اكثر قوة. لم تعد قصياً كما كنت يوماً. لم تعد تكمن وراء نهايات أشيائنا. قمر العشاق. صديق الشعراء المتنهدين. لقد ضربك الصاروخ وأحدث جرحاً في بشرتك الجليدية. في بشرتك المكسوة ببثور فوهات البراكين. بالأمس فقط كنت

---

* اليشب : من الأحجار الكريمة . ـ المورد ـ .

أتحدث الى «فيدجا» حول هذا. قال «فيدجا»: «ـ ما القصد من هذا كله؟ أنا لا أفهم المخلوقات الانسانية». وأجبت أنا: «ـ فيدجا، هلى تفهمني؟». وارب عينيه ونظر الي طويلاً، ثم قال أخيراً: «أنا لا أفهمك دائمًا، يا باربرا».

ليس دائمًا ؟ أنت لم تفهمني يوماً يا «فيدجا». على الأقل حين أسوق في المساء بدون سبب. أسوق كما أفعل الآن. فقط لمجرد قيادة سيارة. لأضع حداً لجلوسي معك في الغرفة، حيث الساعة تتكتك والمنفضة تمتلىء بالرماد. حيث ان صمتك مُغرٍ للجدران لأن تقترب. تقترب اكثر فأكثر. تقترب درجة ان أشعر وكأنها قادمة لتخنقني!.

وقتها ؛ عليّ أن أسوق يا «فيدجا» . أنا لست قاصرة على الاتيان بحجج أخرى إن لم تعد تصدقها بعد الآن. تلك الحجج الباعثة على الشفقة. لقد عدت وكذبت عليك اليوم أيضاً بقولي انني سأزور «روث»، اختي، المريضة. حسناً، انها مريضة. ولكن الأمر سيّان. أنا لا أزورها وأنت تعرف هذا. تعرف انني لا أطيق «روث». وأنني لا أطيق أحداً. حتى . . أنت.

آه ، منطقة تتكوم أشياؤها على بعضها! الطرق تضيق هنا. اللعنة! كم أكره هذه الطرق الضيقة. انها تغص براكبي الدراجات. بالمشاة. بالأطفال، وبالكلاب. شيء كالمركبة يستدير مع المنعطف. داكن. حنطور، أو حمولة تبن ـ يجب منعه على طريق كهذا!

صبراً أيتها العربة القديمة. عربتي الجميلة القديمة. . صبراً. سنخرج من هذا سريعاً. سرعان ما ستكونين حرة ثانية. هانحن أخيراً. . طريق سالك. باتت البيوت والناس في الخلف، والطريق تسعى نحونا وكذلك الريح بصوت تنهدها تكنس وتجرف ورق الشجر على النوافذ. أسرع! أسرع! الخط الأبيض يركض باتجاهنا، العاكسات على أحجار سور الطريق، والشاخصات تومض أسرع فأسرع: تقاطع طرق، التواء، منحدر خطر. دائمًا تصرخ الشاخصات: خطر! خطر! . . من يريد أن يسوق ابتغاء للخطر؟

كل شيء يأتي نحونا يمضي خاطفاً مثلما رؤية شبح. كل شيء فوقنا ممسوك، مقبوض عليه، مُزَالٌ محجوب ممحو في مكان ما خلفنا. (لا تدع أحداً يعتقد ان بإمكانه السواقة أسرع مني. لا تدع أحداً يعتقد: انها مجرد امرأة سائقة!) «فيدجا»، لو كنتَ بجانبي الآن، لشرعت بالصراخ: أأنتِ مجنونة؟ . . أكثر من مئة! ـ ولكنك لست الى جانبي. انك تجلس في البيت، في الغرفة، تقلّب صفحات كتابك، تدير شبكة عنكبوتك المجنون سعياً وراء الذكريات أو من أجل خطط المستقبل. خطط وذكرى: نفس شبكة العنكبوت الواحدة

صممت لتمزق حياتنا. الحياة كما تفهمها أنت. ولكنني أرفضها، هذه الحياة الساقطة في. . الشرك. أريد الـ«هنـا»، والـ«الآن»، هذه الـ «هنـا» الموجودة بالفعل. الطريق واضحة بقدر مسافة اضاءة المصابيح الأمامية. أثلام على الطريق. صيد وفريسة. ما الحاجة لفريسة لليلة مثل هذه؟

كان ذاك في زمن الصيد على ظهور الخيل. اطلقت البندقية: كرة فراء ودم يرتعش، عيون زجاجية، حليبية وغير مرئية، وبعدها تُقَدَم الوجبة ساخنة على أنغام المزمار، وهذا كل شيء. اما الآن فنحن نصطاد معتلين العربات. الفريسة: شبح و«كمير»*. نركب ونعتلي الأضواء، على الظهر الأبيض لمصابيح العربة الأمامية، ننثال في ثوب الليل الأسود، اظهـارات الاضـاءة البيضاء تبدد الظلام شرائحاً شرائحاً. يتتابع المشهد، الأخشاب والصخور مثل ستارة المسرح الخلفية تتقدم ملتفة نحونا وتمضي. جسور، جدران. . في مكان ما ثمة سيل جبلي غاضب. في مكان ما ثمة هوة تزأر. ومن خارج جرف كالطيف كان أثر مياه وقد تضخم. رذاذ بلا لون في الهواء.

كل الأشياء تذوب الى رذاذ في الهواء .

نعم ، كان صحيحاً ما قاله لي «فيدجا» مرة : ليس من حُبٍ فيكِ. فقط توق الى الفراغ.

أجل ، هذا صحيح ، صحيح . ولكن ما هو هذا الفراغ ؟

ألا وجه له ؟ أم ان وجهه ليس هو وجهنا ؟ لا . انه شيء يختلف عنا وغريب. خارج عن قدرتنا وجميل.

كان هذا مؤخراً ـ كيف حدث ـ عندما أسوق مثلما أفعل الآن. أم انني حلمت بها؟ أجل لقد حلمت بها وحسب. هذه السواقة صعداً في الجبال. ومثلما هي الأحلام دائماً، كل شيء كان اكبر من الواقع ورائعاً. مشهد عملاق كالليل، والطريق يتصاعد، يتصاعد، بلا نهاية. يتلولب. جسور شاهقة تصيب بالدوار الواحد منها الواحد منها يعلو الآخر. أمامي عربة زرقاء. أتلك التي أعرفها؟ لا ليست التي أعرفها. هي من احدى البلدان الأجنبية، كما أظن. أجنبي على طريقي. يبقى أمامي كل الوقت. أسرعُ وأسرعُ. لكنه يظل منطلقاً بحيث لا يُطال مهما ضغطت بقدمي. الى أسفل. هل يفلت؟ لا. سألحق به.

---

* الكمير : كائن خرافي له رأس أسد وجسم شاة وذنب أفعى . ـ المورد ـ .

سألحق به. خشيتي من أن يتجنبني او أن يراوغ. خشيتي من الطريق الذي بدأ يضيق. تصير المنعطفات دوائر ملتوية مسدودة مسدودة. والأجنبي ـ ليست بسيارة على الاطلاق ـ يفرد أجنحته الفضية، ويبتسم من وراء حافة زجاج السيارة الأمامي . . .

تلاشى الطريق الآن الى هواء ناعم. . فضاء بلا قرار يبتلعني حتى النهاية.

على حافة الطريق هناك علامة دولاب، وشاب يقفل عائداً الى بيته من العمل، متأخراً، على دراجته. عثر على هذا وأبلغ عنه.

وفي الصباح التالي تقرير في الجريدة: مقتل مجهول على الطريق . . الخ.

وهكذا ، وللأبد ، نبقى تحت قمر الصيادين .

O. HENRY

- ولد أو. هنري (أسمه الحقيقي هو ويليام بورتر) عام ١٨٦٢ في غرينسبورو في الولايات المتحدة.
- يعتبر من أشهر كتّاب القصة القصيرة الشعبية في أمريكا.
- اتهم بالاختلاس أثناء عمله كأمين صندوق في مصرف ليمضي فترة في السجن.
- بدأ اهتمامه بالكتابة وهو في السجن، ونشرت اولى مجموعاته القصصية «قلب الغرب» عام ١٩٠٧.
- يلتقط أحداث وشخصيات قصصه من الحياة اليومية في نيويورك، من المحلات والمكاتب والشوارع.
- من أعماله: «أصوات المدينة» و«دعني أجسّ نبضك» و«ستّات وسبعات».
- توفي عام ١٩١٠

A Furnished Room الغرفة المفروشة

من كتاب:

Understanding FICTION
Prentice - Hall, INC, 1979.

الغرفـة المفروشـة

معظم الذين يسكنون في الحي الغربي التحتي ذي الطوب الآجري الأحمر يتميزون بالتنقل وعدم الاستقرار والزوال . . شأنهم شأن الزمن . وحيث انهم كانوا يتنقلون دائماً ولا يملكـون بيوتاً مستقرة ، فان كل الغرف أو البيوت المعروضة للايجار هي بيوتهم . فهم يتدحرجون من غرفة مفروشة الى غرفة مفروشة اخرى . يتحولون أبداً ، بلا ثبات ، فتتحول قلوبهم وتتحول عقولهم . ويغنون :

«بيتي ، يا بيتي الحبيب» بايقاع الأغاني الزنجية ، حاملين حاجياتهم في علبة قبعات .

وهكذا فان بيوت هذا الحي لا بد وأن تكون مليئة بالحكايات ، وهي التي تشهد غرفها آلاف المستأجرين . صحيح أن معظم هذه الحكايات لا تخلو من بلادة ، لكن لا بد أيضاً من وجود شبح أو شبحين في يقظة بعض هؤلاء النزلاء المتشردين .

ذات مساء مر شاب بهذه البيوت المتداعية ذات الطوب الأحمر ، وراح يقرع الأبواب بحثاً عن غرفة مفروشة . عند البيت الثاني عشر وضع حقيبته اليدوية جانباً على العتبة ، ونفض الغبار عن قبعته ومسحه عن جبينه ، وترامى الى مسمعه صوت الجرس خافتاً نائياً كأنه ينبعث من اعماق سحيقة . لبت نداء الجرس مدبرة المنزل التي بدت له أشبه بدودة متخمة اكلت لتوها لب جوزتها وراحت تسعى لملء الفراغ بمستأجرين مكتنزين .

سأل إن كان ثمـة غـرفـة للايجـار .

قالت مدبـرة المنـزل :

ـ ادخـل .

خرج صوتها من حلقها . بدا وكأن حلقها مبطن بالفرو . تابعت :

- لدي غرفة في الطابق الثالث ، الجزء الخلفي منه، شاغرة منذ اسبوع . هل ترغب في أن تلقي نظرة عليها؟ .

ارتقت الدرج فتبعها الشاب . نور شاحب لا يكاد يتبين مصدره كان يتخلل ظلال الصالات . مشيا على سجادة مهترئة تغطي الدرج بخطوات خافتة . وبدا وكأن العفن قد تسلل من الهواء الذي لا تصله شمس فانتشر على الأرضية كمادة حية عضوية لزجة تحت الأقدام .

عند كل منعطف درج كان ثمة كوة فارغة في الجدار. ربما كانت هذه الكوى تحتوي على نباتات ما . اذا صح ذلك، فلا بد أنها ماتت في ذلك الهواء الفاسد . وربما وجد في تلك الكوى تماثيل قديسين، ولكن بوسع المرء أن يتخيل أن الشياطين هي التي جرتها في العتمة نحو الطوابق التحتية غير المقدسة الى تلك الحفر المفروشة .

قالت مدبرة المنزل وقد خرج صوتها من حنجرتها المبطنة بالفرو:

- هذه هي الغرفة . انها غرفة جيدة. لا تكاد تخلو من مستأجر. لقد استأجرها قوم محترمون في الصيف الماضي - لم يزعجوني على الاطلاق . ودفعوا مقدماً . الماء في آخر الردهة . لقد سكنها «سبراول» و«موني» ثلاثة اشهر. لقد قاما بتمثيلية هزلية . الآنسة بريتا سبراول، لعلك سمعت بها، أوه، كان هذا اسمها الفني، انظر هناك فوق الدولاب الى لوحة عقد زواجهما المعلقة ذات الاطار. الغاز هناك، والمرحاض كما ترى واسع . انها غرفة يرغب بها الجميع . انها لا تظل شاغرة لفترة طويلة .

سألها الشاب :

- هل ينزل لديك الكثير من المشتغلين بالمسرح ؟

- يأتون ويذهبون . نسبة لا بأس بها من المستأجرين على علاقة بالمسرح . نعم يا سيدي . هذي هي منطقة المسرح . الممثلون لا يمكثون في أي مكان طويلاً . انني احصل على نصيبي . نعم، انهم يأتون ويذهبون .

حجز الغرفة ودفع أجرة اسبوع مقدماً . قال انه متعب وسوف يستخدم الغرفة من فوره . أحصى المبلغ . قالت ان الغرفة جاهزة . المناشف . . وكل شيء . وبينما استدارت مدبرة المنزل لتغادر الغرفة أفصح عن السؤال الذي يحمله على طرف لسانه، وأحجم في المرات السابقة عن طرحه :

- فتاة ، الآنسة فاشنر ، الآنسة الويس فاشنر، هل تذكرين مثل هذه الفتاة بين

المستأجرين؟ انها تغني على المسرح . . في الغالب. فتاة شقراء. ذات طول متوسط وقد معتدل. شعرها أحمر وذهبي . ولها شامة داكنة قرب حاجبها الأيسر.

ـ لا ، لا أذكر هذا الاسم . الذين يعملون في المسرح يبدلون اسماءهم كما يبدلون غرفهم. يأتون ويذهبون. لا. لا أستطيع ان اتذكرها.

الجواب بالنفي دائما . خمسة شهور من الاستقصاء المتصل عنها. . ودائما النفي الحتمي. ينقضي معظم وقت النهار في سؤال مدبرات المنازل، والوكلاء، والمدارس، والجوقات. وفي الليل يبحث بين جمهور المسارح الراقية وصالات الموسيقى الرديئة. كان يحبها ويرغب في أن يعثر عليها. كان متأكداً من انها متوارية في مكان ما من هذه المدينة الكبيرة منذ أن اختفت من البيت. لكنها مدينة أشبه بالرمال المتحركة، تبدل أشياءها باستمرار، بلا أسس، حيث طبقة اليوم العليا تدفن في اليوم التالي، في المستنقعات والوحول. بدت الغرفة للمستأجر الجديد وكأنها تستقبله بابتسامة مخادعة لامرأة مشبوهة. وغمره احساس بالراحة المزيفة، بدا وكأنه ينعكس نحوه من اشعاعات الأثاث الخرب. ثمة كنبة طويلة متداعية، ومقعدان، ركيزة زجاجية رخيصة بين نافذتين، سرير نحاسي في الركن.

استرخى المستأجر على المقعد جامداً لا يتحرك، بينما تلعثمت الغرفة فكأنها شقة في بابل، او كأنها مرهقة لا تستطيع ان تحكي له عن مستأجريها المختلفين.

ثمة بساط متعدد الألوان وكأنه مستطيل من الزهور، او جزيرة استوائية محاطة ببحر متلاطم من الخليط المعدني. على الجدار المغطّى بورق لاصق رمادي ثمة صور من ذلك النوع الذي يلاحق كل من يتشرد ويتنقل من نزل الى آخر.

وكان رف الموقد بسيطاً غير مزخرف وكان متوارياً خلف غطاء فضفاض. على الرف مجموعة من مخلفات المتشردين الخربة: آنية زهور رخيصة، صور ممثلات، علبة دواء، أوراق لعب. هذه الأشياء الصغيرة بدت كاشارات في رسالة شيفرة. وبدا وكأن هذه الاشارات المتروكة في الغرفة من قبل مجموعة من النزلاء الذين تعاقبوا عليها، باتت تتضح وتتخذ معنى ودلالة. البقعة الخالية من الخيوط في البساط تقول أن امرأة جميلة مشت عليها. آثار بصمات الأصابع الصغيرة على الجدار تحكي عن سجناء صغار حاولوا أن يشقوا طريقهم نحو الشمس والهواء. بقعة منتثرة على الجدار، أشبه بظل قنبلة، بقايا محتويات زجاجة تشظت. قرب مرآة الجدار حفرت أحرف اسم: «فيـر».

بدا وكأن النزلاء الذين تعاقبوا على الغرفة قد شاركوا في صياغة شخصيتها. كان الأثاث مجرحاً ومشظى. الكنبة ونوابضها المخلعة بدت وكأنها وحش مرعب قتل بعد نوبة تشنج بشعة. وبدا المصطلى الرخامي وكأنه حطم فانهارت قطعة كبيرة منه أثناء انتفاضة عارمة. وكان لكل لوح خشبي ميلانه الخاص وصوته المميز المنفصل كأنه صدى لمعاناة فردية. من الغريب ان ينزل هذا المقدار من التشويه بغرفة من قبل من أسموها مرة منزلهم. ولكن ربما كانت كل هذه الآثار نتيجة لغريزة البيت المخدوع وهي تعمل بشكل أعمى، ولعل ثورته على آلهته المزيفين قد أوقدت شعلة غضبها. بوسعنا ان نحب وننظف ونرعى كوخاً نملكه حقيقة.

كل هذه الخواطر تراكمت في بال النزيل الجديد وهو يجلس على المقعد، بينما ألمت بالغرفة أصوات مؤثثة، وروائح مؤثثة.

ترامت الى مسامعه من احدى الغرف جلجلة ضحكة ، وحوار عاصف من غرفة أخرى، وقرقعة نرد، وتهويدة، ونحيب. ومن الطابق العلوي ترامى صوت موسيقى البانجو. أبواب تفتح وتوصد في مكان ما، زمجرة قطارات. مواء قطة خلف البناية. وتنشق رائحة البيت ـ نكهة رطوبة اكثر منها رائحة ـ بخار بارد يحمل رائحة كريهة، ينطلق من الطوابق التحتية.

بغتة ، وبينما كان مسترخياً في مقعده، امتلأت الغرفة برائحة البليحاء العطرية* الحادة العذبة. اقبلت مع هبة هواء منفردة بالحاح وقوة حتى بدت وكأنها زائر حي. وهتف الشاب كما لو نادته احداهن:

ـ ماذا يا عزيزتي ؟

وفزّ واقفاً وراح يتلفت . التصق العطر به وتحلق حوله. مد ذراعيه يسعى اليه وقد تشوشت حواسه كلها واختلطت. كيف يُنادىَ المرء من قبل عطر؟! لا بد أنه صوت. ولكن، ألم يكن الصوت الذي لمسه وهدهده؟

هتف :

ـ كانت في هذه الغرفة .

وراح يذرع الغرفة باحثاً عن أثر لها. كان يدرك أنه سيتعرف على أي شيء تركته أو لمسته. هذه الرائحة، رائحة عطر أحبته واستعملته ـ من أين أتت؟

* نبات فوّاح

كانت الغرفة غارقة في الفوضى . على الدولاب نصف دزينة من دبابيس الشعر: وهي من الأشياء ذات العلاقة الحميمة بالجنس اللطيف ـ تجاهل الدبابيس مدركاً أنها بلا هوية. وبينما كان يفتش الأدراج عثر على منديل صغير. ضمه الى وجهه، كان زكي الرائحة أرجوانياً. رماه على الأرض. في درج آخر وجد أزراراً مختلفة، وبرنامج مسرح، وبطاقة مسترهن، وقطعتين من الحلوى، وكتاباً عن نبوءات الأحلام. وفي الدرج الأخير وجد شريط شعر أسود من الساتان. توقف عنده كالمتأرجح بين النار والثلج . لكن شريط الشعر هو الآخر بلا هوية محددة. فهو أنثوي بشكل عام ولا يحكي حكايات شخصية ذات دلالة.

ثم راح ينبش الغرفة مثل كلب أثر يلاحق رائحة. جعل يتفحص الجدران. ثم انبطح على يديه ورجليه يتحسس الأماكن المنتفخة في الحصيرة. ويتلمس الطاولات، والستائر. . بحثاً عن أثر محسوس، وهو لا يدري أنها هناك: حوله، الى جانبه، فيه، فوقه، ملتصقة به، تضمه، تناديه بطريقة مؤثرة من خلال الحواس الأكثر رهافة، حتى أن حواسه الأخرى الدنيا تعرفت على النداء. مرة أخرى أجاب بصوت مرتفع :

ـ نعم يا عزيزتي .

ثم التفت بعينين متوحشتين ليحدق الى العدم، لأنه عجز حتى الآن عن التمييز بين الشكل واللون والحب والأذرع الممدودة في تلك الرائحة ـ رائحة النبات ـ وفكر: يا الهي، كيف تنادي الرائحة بصوت؟

فتش الزوايا والأركان فوجد أغطية من الفلين وسجائر. فمر عليها معرضاً. وجد سيجاراً ومخلفات أخرى لها علاقة بمستأجرين مختلفين، لكنه لم يجد أثراً واحداً لها، هي التي تملأ بحضور روحها الغرفة.

ثم فكر في أن يسأل مدبرة المنزل .

خرج من الغرفة المسكونة بالأشباح، ونزل الدرج بسرعة. وقرع على باب مدبرة المنزل الذي كان يكشف عن شق من الضوء. أطلت المدبرة فغالب ارتباكه ما استطاع.

قال :

ـ هل لك أن تخبريني يا سيدتي، من الذي كان يسكن الغرفة قبلي؟

ـ نعم يا سيدي. بوسعي أن أخبرك مرة أخرى. كما قلت لك إنهما سبراولز وموني. الآنسة بريثا سبراولز وهي تعمل في المسارح، لكنها كانت زوجة موني. بيتي محترم ومعروف بسمعته الحسنة. لقد كان عقد الزواج معلقاً على. . .

ـ هل لك أن تصفي الآنسة سبراولز ؟

ـ نعم ، شعرها أسود، قصيرة، ممتلئة، ولها وجه هزلي . لقد رحلا منذ أسبوع .
ـ وقبلهما . . من سكن الغرفة .
ـ سائق عربة نقل. لقد رحل دون أن يدفع ايجار اسبوع. وقبله نزلت في الغرفة السيدة كراودر وطفلاها وظلا فيها أربعة أشهر، وقبلهم نزل السيد دولي وهو رجل عجوز وكان أولاده يدفعون الايجار. وقد ظل في الغرفة ستة أشهر. هؤلاء سكنوا الغرفة هذه السنة. أما قبل ذلك فانني لا أتذكر.

شكرها وعاد الى غرفته. كانت الغرفة ميتة. تغيرت طبيعتها. الرائحة ـ رائحة النبات ـ تبددت، وحلت محلها تلك الرائحة الرطبة التي تفوح من أثاث قديم.

تلاشت آماله كلها . جلس يحدق الى المصباح الغازي الأصفر الذي يغني. ثم خطا نحو السرير وراح يمزق الغطاء الى خرق عديدة. ثم حملها ودسها في شقوق النوافذ والباب. ثم أطفأ الضوء، وفتح الغاز، ثم استلقى على سريره بارتياح.

حملت السيدة مكول ـ وهي مدبرة منزل آخر ـ علبة البيرة وجلست الى السيدة بيردي . وراحت مدبرتا المنزلين تتبادلان الحديث في تلك الليلة. قالت السيدة بيردي :
ـ لقد أجرت الطابق الثالث الخلفي هذا المساء. استأجره شاب في مقتبل العمر. لقد ذهب لينام منذ ساعتين.

قالت السيدة مكول :
ـ وهل أخبرته عما حصل في تلك الغرفة ؟

قالت السيدة بيردي بصوت لا يخلو من غضب :
ـ الغرف تؤثث للايجار . لا لم أخبره .
ـ هذا حق . نحن نعيش من الايجارات . أنت تملكين موهبة في «البيزنيس». ثمت أشخاص كثر يرفضون النزول في غرفة وقعت فيها حادثة انتحار.

قالت السيدة بيردي :
ـ كما تقولين . نريد أن نعيش .
ـ قبل أسبوع فقط . ساعدتك في نقل جثمان الفتاة التي انتحرت في الغرفة الواقعة في الطابق الثالث الخلفي . ما كان يليق بها أن تنتحر بالغاز. كانت جميلة .
قالت السيدة بيردي بصوت لا يخلو من عتب :
ـ نعم كانت جميلة وأنيقة ، لولا تلك الشامة الكبيرة القريبة من حاجبها. املئي كأسك مرة أخرى يا سيدة مكول.

لويجي بيرانديللو PIRANDELLO

- ولد لويجي ستيفانو بيرانديللو عام ١٨٦٧ في مدينة من مقاطعة جرجنتي بجزيرة صقلية .
- كتب القصة القصيرة والرواية ثم اتجه الى الكتابة للمسرح ، ليؤكد تميزه وتجديده في كل ما كتب .
- نال جائزة نوبل للآداب عام ١٩٣٤ على مجموعته القصصية «أقاصيص لسنة كاملة» .
- من أهم أعماله : «ست شخصيات تبحث عن مؤلف» و«هنري الرابع» و«كما تريدني» و«لكل حقيقته» .
- توفي عام ١٩٣٦ .

الحـــرب WAR

من كتاب : Understanding FICTION
Prentice - Hall, INC. 1979.

الحـــرب

يضطر المسافرون الذين يغادرون روما على قطار الليل السريع، أن يتوقفوا حتى الفجر في محطة فابريانو الصغيرة في سبيل أن يواصلوا رحلتهم في قطار صغير قديم محلي يصل بين الخط الرئيس وبين سولمونا.

عند الفجر، دخلت امرأة بدينة ترتدي ثياب الحداد، الى عربة الدرجة الثانية المليئة بالدخان، حيث كان يجلس خمسة أشخاص. وبدت المرأة مثل رزمة لا شكل لها.

كان يتبعها زوجها وهو يئن وينفخ - وهو رجل ضئيل نحيل ضعيف، بوجه في بياض الموت، وعينين صغيرتين براقتين خجولتين قلقتين -

عندما اتخذ مجلسه شكر بأدب المسافرين الذين ساعدوا زوجته، والذين أفسحوا لها لتجلس. ثم التفت الى زوجته وحاول أن يثني ياقة معطفها، وتساءل بأدب:

- هل أنت على ما يرام يا عزيزتي؟

رفعت الزوجة ياقتها الى عينيها لتغطي وجهها، ولم تجبه.

ابتسم الزوج ابتسامة حزينة وقال:

- عالم خبيث.

وشعر انه ينبغي عليه أن يفسر للمسافرين الآخرين أن زوجته المسكينة تستحق الشفقة والعطف، لأن الحرب أخذت منها ابنها الوحيد، وهو في العشرين من عمره، وقد كان محور حياتهما كلها، حتى انهما ارتحلا من بلدتهما سولمونا ليكونا معه في روما، عندما اضطر الى الذهاب الى روما ليكمل دراسته. ثم سمحا له بالتطوع للحرب، بعد أن تلقيا ضمانات أنه لن يرسل الى الجبهة قبل مرور ستة أشهر. وفجأة، تلقيا برقية تخبرهما أنه سيمضي الى الجبهة خلال ثلاثة أيام، وتطلب منهما أن يحضرا لتوديعه.

كانت المرأة الداخلة في المعطف الثقيل تتململ وتتلوى في مقعدها. وأحيانا كانت تدمدم وتهدر وتتذمر مثل حيوان متوحش، وهي تشعر أن كل هذه الشروحات لن تفلح في أن ترسم ظل تعاطف في وجوه هؤلاء الناس ـ الذين كانوا على الأغلب يعانون مما تعاني ـ.
قال أحد المسافرين، وكان يصغي باهتمام خاص:

ـ ينبغي أن تشكري الله على أن ابنك لم يرحل من قبل الى الجبهة. ابني أُرسل إلى هناك منذ اليوم الأول للحرب، وعاد مرتين مصاباً، وبعد كل مرة كانوا يرسلونه من جديد الى الجبهة.

قال مسافر آخر:

ـ ماذا أقول أنا؟ لدي ولدان وثلاثة أقارب في الجبهة.

قال الزوج:

ـ ربما. ولكن، بالنسبة لنا، هو ابننا الوحيد.

ـ ما الفارق؟ قد تفسد ابنك بالدلال، ولكنك لن تحبه اكثر من بقية اخوته لو كان له أخوة. الحب الأبوي لا يمكن أن ينقسم الى أجزاء متساوية كما لو انه قطعة خبز. الأب يمنح كل حبه لكل واحد من اولاده دون تمييز. سواء كانوا واحداً أو عشرة، واذا كنت أعاني بسبب ولديّ، فانني لا أعاني نصف معاناة للواحد، وانما الضعف...

تنهد الزوج محرجا وقال:

ـ صحيح. ولكن افترض (طبعا كلنا نتمنى أن لا يحدث هذا) أن والد الاثنين اللذين يحاربان في الجبهة فقد واحدا منهما. يبقى له الآخر على الاقل ليواسيه.. بينما..

أجاب الآخر وقد بدأ يغضب:

ـ صحيح، يبقى لوالد الاثنين من يعزيه، لكنه مضطر الى مواصلة الحياة. بينما يستطيع والد فتى وحيد أن يضع حدا لحياته اذا قضى ابنه. وبالتالي يضع حدا لآلامه ومعاناته. أي من الحالين أسوأ؟ ألا ترى أن حالتي أسوأ من حالتك؟

تدخل مسافر آخر وكان بدينا، أحمر الوجه والعينين. قال:

ـ كلام فارغ.

كان قلبه يخفق بقوة. وبدت عيناه وكأنهما تحتويان على عنف داخلي يعجز جسده الضعيف عن السيطرة عليه. قال مرة أخرى:

ـ كلام فارغ.

ووضع يده على فمه حتى لا يرى المسافرون مكان الأسنان الأمامية الخالية:

ـ كلام فارغ . هل نمنح الحياة لأولادنا من أجل مصلحتنا ؟

حدق الجميع اليه بنظرات فيها ضيق وألم. تنهد الرجل الذي مضى ابنه الى الجبهة منذ اليوم الأول وقال:

ـ أنت على حدق . نحن لا نملك أولادنا . الوطن يملكهم .

هتف المسافر البدين :

ـ هراء . هل نفكر في الوطن حين ننجب ؟ أولادنا يولدون لأن. . لأن. . لأنهم ينبغي أن يولدوا. وحين يولدون يأخذون حياتنا معهم. هذي هي الحقيقة. نحن ننتمي اليهم، أما هم فلا ينتمون الينا أبدا. وحين يبلغون العشرين من عمرهم يصبحون نسخة طبق الأصل عما كناه في هذا العمر. نحن أيضا، كان لنا آباء وأمهات، لكن كان لنا أشياء أخرى أيضا. . فتيات، سجائر، أحلام وأوهام، ربطات عنق جديدة. . والوطن طبعا، الذي لو نادى للبينا النداء في ذلك العمر (حتى لو منعنا آباؤنا وأمهاتنا). في عمرنا هذا، لا يزال حبنا للوطن قويا، ولكن حبنا لأولادنا أقوى. أيوجد بيننا من يتخلف لو استطاع أن يحل محل أولاده في الجبهة؟

حل صمت . وهز الجميع رؤوسهم موافقين. استأنف الرجل البدين كلامه قائلا:

ـ لماذا اذن لا نأخذ مشاعر أولادنا وهم في سن العشرين بعين الاعتبار؟ ألا ينبغي لنا أن نفهم أن حبهم لوطنهم أقوى من حبهم لنا؟ هذه مشاعر طبيعية، فهم ينظرون الينا كما لو كنا أولادا مسنين عاجزين عن الحركة، وبالتالي ينبغي أن نبقى في البيوت اذا كان الوطن موجودا، واذا كان الوطن حاجة طبيعية حتمية وضرورية، شأنه شأن الخبز، الذي ينبغي علينا جميعا أن نأكله حتى لا نموت جوعا، فينبغي اذن أن نجد من يدافع عنه. وأولادنا يمضون وهم في العشرين. وهم لا يرغبون في رؤية الدموع، لأنهم اذا قضوا. . قضوا متحمسين سعداء (أنا أتكلم طبعا عن الفتيان الشرفاء). وعندما يقضي المرء وهو يافع، سعيد، قبل أن يرى الجوانب البشعة للحياة، ضجرها ومللها، تعاستها، مرارة أوهامها. . ينبغي أن لا نغضب. على الجميع أن يتوقفوا عن البكاء، على الجميع أن يضحكوا مثلما أضحك، أو على الأقل أن يشكروا الله ـ مثلما أفعل ـ لأن ابني كتب لي قبل أن يقضي قائلا انه سيقضي مرتاحا الى أنه أنهى حياته بطريقة فضلى. ولهذا السبب، كما ترون، لا أرتدي ثياب الحداد.

نفض معطفه الخفيف المصنوع من جلد الظباء كأنما ليشاهده الجميع. كانت شفته

العليا المزرقة ترتجف وعيناه ثابتتين تجول فيهما دموع لا تنسكب. ثم أطلق ضحكة مجلجلة أشبه بالبكاء.

قال الآخرون :

ـ صحيح . . كلامك صحيح .

كانت المرأة المتدثرة بالمعطف الثقيل ـ خلال الأشهر الثلاثة الماضية ـ تبحث في كلمات زوجها وآخرين عن شيء يواسيها، أو دلالة تدلها كيف تتصرف الأم، وكيف تصبح قادرة على ارسال ابنها لا الى الموت وحسب، بل والى حياة خطرة. لكنها لم تجد في كل ما سمعته من قبل ما يواسيها ويقويها. على العكس، كان حزنها يزداد وهي تشعر أن أحدا لا يستطيع أن يشاركها مشاعرها.

لكن كلمات هذا المسافر أدهشتها وأذهلتها. أدركت فجأة أن الخطأ خطؤها، لا خطأ الآخرين الذين لا يستطيعون فهمها. فهي وحدها غير قادرة على السمو لتكون في مستوى أولئك الآباء والأبناء المستعدين للسموّ، دون بكاء، ومواجهة سفر أولادهم الى الجبهة، لا بل ومقتلهم أيضا.

رفعت رأسها، وتطاولت ومالت محاولة أن تسمع كل كلمة وكل تفصيل يقوله الرجل البدين للآخرين عن ابنه الذي سقط بطلا، من أجل مليكه ووطنه، سعيدا وبلا ندم. بدا لها وكأنها دخلت فجأة الى عالم ما كانت لتحلم به، عالم مجهول وناء بالنسبة لها. وتضاعفت فرحتها حين رأت الجميع يهنئون الأب الشجاع الذي يستطيع أن يتحدث بهذا الهدوء والفخار عن موت ابنه.

فجأة التفتت الى الرجل البدين العجوز، وقالت له وكأنها لم تسمع كلمة واحدة، وكأنها خرجت للتو من حلم :

ـ اذن . . هل مات ابنك فعـلا ؟

حدق الجميع اليها . والتفت اليها العجوز البدين بعينيه البليلتين الواسعتين وحدق عميقا الى وجهها. حاول أن يجيب على سؤالها، لكن الكلمات خذلته. نظر اليها، وبدا وكأنه الآن فقط، وبعد أن سمع هذا السؤال السخيف الشاذ، أدرك أن ابنه مات حقا، وانه لن يعود أبدا، أبدا.

تشنج وجهه، وتقلصت ملامحه، حتى بدت شوهاء، ثم تناول بحركة خاطفة منديلا من جيبه، وراح ينحب وينشج نشيجا. وانحدرت دموع عجز عن السيطرة عليها. . وسط دهشة الحاضرين، وذهولهم.

PETER TAYLOR بيتر تيلـر

•

The Hand of Emmagene يد ايماجين

Understanding FICTION من كتاب :
Pientice-Hall, INC. 1979.

بيتر تيلر

يد ايماجين

بعد أن أنهت الدراسة الثانوية ، أقبلت من هوتونسبرغ لتجد عملاً في ناشفيل .
نزلت في بيتنا .
وراحت من فورها تحضر حصصاً في مدرسة للسكرتيريا .
الحقيقة انها لم تأت بعد أن أنهت الدراسة الثانوية مباشرة .
اعتقد انها لازمت بيتها سنتين،
لتعنى بجدتها العجوز
التي كانت تحتضر بعد أن أصيبت بوباء «برايت» .
اذن هي ليست مجرد فتاة ريفية طائشة
برأس مليء بالسخافات
تسعى الى ملاهي ناشفيل الليلية
أو تسعى الى الزواج
ولا تعرف شيئاً عن العمل
لا هي ليست كذلك .

منذ البداية ، رأينا
- انا وزوجتي -
انها ينبغي أن تتعرف على بعض الفتيان
من اقرانها . كانت هذه الفكرة من اوائل ما خطر لنا على بال
كانت ابنة عمنا ، او ابنة عم نانسي بالأحرى،

وكانت من هور تونسبرغ
وهي قرية صغيرة
تقع على بعد ثلاثين ميلاً من ناشفيل
حيث نشأنا انا ونانسي .
لهذا شعرنا اننا مسؤولون
عن حياتهـا الاجتماعيـة ،
وعن مصلحتهـا بشـكل عـام .
نحن دائماً نقوم بالواجب
تجاه اقربائنا الذين يقبلون على البلدة
خاصة حين يقيمون في بيتنا .
ولكن بدلاً من دعوة ايماجين
الى ملهـى
أو دعوة اشخاص للتعرف اليها
رأت نانسـي
أن نكتشف في البداية ميولها .
ثم نتصـرف .

اكتشفنا أن العمل هو اكثر ما يثير اهتمامها في هذا العالم.
لم أر في حياتي شخصاً مغرماً بالعمل مثلها .
وقد بدت هذه المسألة من أغرب الصفات التي تحيط بشخصيتها.
عندما جاءت لتسكن معنا
كانت تستيقظ عند الفجر
قبل أن تتحرك ابنة عمها نانسي
أو انـا .
تنظف البيت ـ كنا نشم رائحة منظف البلاط من غرفتنا ـ
وفي ايام معينة ،
كانت تنتهي من عملهـا
فاذا هي تقوم باصلاح اشياء معينة

تغسل غطاء الطاولة أو السرير
أو قمصاني او ملابس نانسي الداخلية.
وكثيراً ما كانت تنتهي من اعمالها هذه
قبل أن نهبط الى الطابق السفلي .
وحين نهبط نراها وهي تقف في احدى غرف الطابق الارضي
تتأمل الاشياء التي بذلت فيها جهداً كأنها تحنو عليها :
أطقم الصحون مثلاً او الاطباق الصينية الخاصة .
ذات يوم رأيناها تمسك بقلم وورقة
تقلد الرسوم الهندسية لبعض الحيوانات
المرسومة على سجادة شرقية .

وفي ايام اخرى نستيقظ لنراها تعد الطعام قبل أن يحضر الخدم .
(وطبعاً. تكون قد غسلت كل الصحون ورتبتها في اماكنها
قبل أن تصل الخادم لتعد الفطور) .
وكانت تعد لنا الكعك او الجاتو قبيل ساعات الفجر،
(هي لا تأكل الحلوى)
ويستقبل أنفانا الروائح قبل أن ننهض من
السرير أو نهبط الدرج .
ولكنها كانت تلتزم الصمت دائماً مثل فأر،
سواء كانت تطبخ أو تغسل
لم نكن نسمع صوتاً. ليس ثمة سوى الروائح
قبل أن نهبط . وبعد أن نهبط لا نجد
سوى تلك القناعة ، وذلك الرضا
يشعان منها .

في الليل كان الأمر مختلفاً . آلة الغسيل
تعمل في القبو حتى وقت مبكر جداً .
وأحياناً يهدر صوت المكنسة الكهربائية

قبل أن نصعد الى غرفة نومنا
أو بعد أن نأوي الى سريرنا .
(كنا نسألها ونسأل أنفسنا ماذا تركت
للخادم والطاهية ؟ وأحياناً نسأل أنفسنا
ماذا يفعلان حين تكون ايماجين هنا) .
وعندما عرفت أننا نحب أن نوقد النار في المدفأةعمدت الى اشعالها في الصباحات
بعد أن تنظف الموقد من الرماد القديم .
وفي الليل كنا نسمعها وهي
تحطب وتنهال بالفأس
علـى خشـب الموقـد
حتـى تحصـل على قطـع
خشبيـة خفيفـة .
رأيتها غير مرة تقف في الجهة الخلفية من البيت
تحت ضوء القمر ترفع الفأس عالياً فوق رأسها
وتنهال بدقة مميزة على حزمة الحطب

كنا نسمع أصواتاً في الليل
ونلاحظ أن الهاتف يرن احياناً .
فاذا أجبت انا أو زوجتي من السرير انقطع الصوت .
أو نسمع أولاً صوت غلق الخط من الطرف الآخر
ثم صوت غلق فرع هاتفنا من الطابق السفلي .
ذات مساء رفعت سماعة الهاتف وتساءلت قبل أن أسمع
صوت حركة الغلق الثانية : «ايماجين» ؟
لكن ايماجين لم تنبس .
وسمعت صوت اغلاق الخط

في احيان أخرى كان الهاتف يرن
وحين نجيب لا نسمع أي صوت .

فأقول « من ؟ من تريد ؟ »
او تقول نانسي « مع من تريد أن تتكلم ؟»
ونتطلع الى ايماجين .
اذ كنا نشك في أن هذه الاتصالات تستهدف ايماجين . لقد لاحظنا
سيارات تتسلل قرب البيت، حين كنا نجلس ثلاثتنا على الشرفة في أواخر الربيع . تتسلل
سيارة ببطء شديد حتى نكاد نحسب انها ستقف .
ولكن حين أقف أنا أو نانسي لالقاء نظرة، تنطلق السيارة مسرعة .
وينعطف السائق في شارع جانبي ويختفي مع سيارته .

أكثر من مرة كان جرس الهاتف يرن بينما نحن جلوس على مائدة العشاء في أمسيات الأحد. كانت ايماجين تعد وجبة الطعام وتغسل الصحون بعد ذلك لأن الاحد هو يوم عطلة الخدم . وطبعاً كانت تأكل معنا . اعتقد أن هذه المسألة لا تحتاج الى تأكيد
كانت تأكل دائمًا معنا
ومنذ البداية أصرت على هذه المسألة
علمًا بأننا لم نفكر اطلاقاً بأن نجعلها تأكل وحدها
ينبغي أن تعرفوا أن أسرة زوجتي على علاقة قرابة
مع اسرتها في هورتونزبرج
لكن العائلتين مختلفتان اشد الاختلاف
فعائلة ايماجين تنتمي الى مذهب
العصمة الحرفية[1] بينما كانت أسرة نانسي
أقرب الى المشيخانية[2] أو ما شابههاوالحقيقة أن أسرة نانسي كانت تذهب عادة
الى أقرب كنيسة بغض النظر عن طبيعتها ـ شأنها في ذلك شأن أسرتي ـ
بينما كانت عائلة ايماجين تسافر ١٣ ميلاً كل
صباح أحد الى كنيسة ذات لقب

(١) صفة لكنيسة بروتستانية يدير شؤونها شيوخ منتخبون يتمتعون كلهم بمنزلة متساوية .
(٢) حركة عرفتها البروتستانتية في القرن العشرين تؤكد على أن الكتاب المقدس معصوم من الخطأ. لا في قضايا الدين والاخلاق فحسب بل ايضاً في كل مسائل التاريخ ومسائل الغيب كقصة الخلق وولادة المسيح من مريم العذراء ومجيئه ثانية إلى العالم الخ .

كان يتغير باستمرار نتيجة
خلافات حول النص
بالاضافة الى الدين كانت توجد فروق اخرى تتعلق بأسلوب الحياة.
فقد بدا واضحاً أن ايماجين قد قررت ـ أو ربما نُصحت ـ قبل مجيئها
أن لا تقدم أي تنازل لنا.
فحين قالت لها نانسي عشية وصولها : سوف تنزلين في غرفة الضيوف
سارعت الى القول :
« وسوف نتناول الوجبات معاً ؟ »
قالت نانسي :
ـ طبعاً . طبعاً .
وطوقت ايماجين بذراعها وقالت :
ـ سنعتبرك ضيف الشرف على مائدتنا .
ولكن في أمسيات الاحد بتنا نحن ضيفي الشرف
اذ نصرف الخدم وتقوم ايماجين باعداد
الطعام المحلي المفضل لدينا ،
وبدا وكأننا عدنا جميعاً الى موطننا في هورتونسبيرغ
لكن اذا ما رن الهاتف ،
فزت ايماجين بلمح البصر ،
(حتى أنني بت أعتقد اننا نعيش في بيتها هي)
وكانت تتناول الهاتف المثبت على الجدار في المطبخ.
بوسعي أن أراها الآن ، وأن اسمعها ايضاً.
تقول «هالو» ، ثم تقف هناك . . وتصغي ،
وقد ضغطت السماعة على أذنها ، والتزمت الصمت.
في البداية لم نسألها حتى من الذي يتكلم
كنا نكتفي بتبادل النظرات
ثم الانكباب على الطعام مرة اخرى ـ
ومثلما سبق وأن قلت كنا اشبه بضيفين في بيتها هي

في مساء الأحد. وكنا نلتزم الصمت نحن ايضاً، الى أن نخلو لأنفسنا في وقت متأخر فنبحث الأمر.
اعتقد كلانا في البداية
أن المتكلم صديق لها، ولعلها تخجل من الحديث معه بوجودنا
اذ كنا قلقين من افتقارها الى صديق
أو صديقة .
وكنا نساءل انفسنا مرات ومرات
ونقول ينبغي أن نقدمها الى معارفنا
ولكن الى من ،
أي فتى من فتيان «ناشفيل» سوف لن يتذمر
من بساطتها وطبيعتها التطهرية الواضحة ـ
ما كانت تتزين ، ما كانت تضع حتى أحمر شفاه أو «بودرة»
وما كانت تصفف شعرها ، أو تكثرت به .
كانت ترتدي ملابس اشبه بملابس الخادمات
ولك بدون ياقة بيضـاء
ولقد راعينا تطهريتها تلك حتى أننا ـ أنا ونانسي ـ
امتنعنا عن التدخين او تناول كأس من الخمرة
في حضورها .
وبدأت أنا بمراقبة كلامي حتى لا اتفوه بكلمة بذيئة امامها .
لا أدري كم من المرات رأيناها
ترد على الهاتف بهذه الطريقة أو كم مرة
سمعنا صوت غلق الهاتف حين نرد نحن
أخيراً اشرت على نانسي أن تخبرها انه بوسعها دعوة اي من اصدقائها الى البيت
وقالت نانسي انها ستنتظر اللحظة المناسبة لتخبرها
ما كان بوسعها أن تقترح على فتاة مثل ايماجين اقتراحاً كهذا
بهذه البساطة
ذات مساء أحد رن الهاتف في المطبخ ،

سارعت ايماجين اليه طبعاً ، ووقفت تصغي ،
وأخيراً وكالعادة ، أعادت السماعة الى مكانها
احسست بأنها ترمقنا بنظرات مباشرة
كعادتها حين تعيد السماعة ، في كل مرة ، الى مكانها
في هذه المرة لم تتكلف نانسي وسألت :
ـ من كان هذا يا ايماجين ؟
بدا وكأن الفتاة كانت تنتظر مثل هذا السؤال منذ زمن بعيد
قالت بأدب وبصوت محايد :
ـ سأقول لكما . انه فتى عرفته في هورتونسبيرغ .
ثم اقشعر بدنها وبوزت واضافت :
ـ او بالاحرى فتى لم أعرفه .
ثم اضافت :
ـ الأمور تجري على هذا النحو دائمًا ، هذا اذا كنتم
مهتمين فعلاً لمعرفة أحوالي .
قالت الجملة الاخيرة بمرارة واضحة
كما لو أنها كانت تتوقع أن نسألها هذا السؤال منذ زمن .
«حينما ينتهون من أعمالهم ، ولا يجدون شيئاً مفيداً يعملوه
يتصلون أو يمرون بسياراتهم
أي سخفـاء !»
سألت نانسي :
ـ كم عددهم ؟
قالت ايماجين بثقة :
ـ مجموعة غير قليلة .
تدخلت فجأة وقلت :
ـ ينبغي أن تختاري . لعلك تدعين واحداً أو اثنين منهم لزيارتك هنا .
رمقتني بنظرة لا تخلو من غضب وقالت :
ـ انهم سيئون . ينبغي أن لا يدوسوا على عتبة هذا البيت .

كنت سعيداً لاننا بتنا نناقش المسألة بهذه الصراحة . قلت :
ـ لا يمكن أن يكونوا كلهم سيئين. ينبغي على الفتاة أن تختار.
راحت تنظر الي بصمتها المميز
ثم ذهبت الى المطبخ وعادت وهي تحمل صحنين اضافيين . ثم غيرت الموضوع وأنشأت تحكي على الموعظة التي سمعتها في ذلك الصباح، وكانت تقتبس عبارات منها بحماسة مبالغ فيها،
ثم راحت تقتبس من الكتاب المقدس .
بدا وكأنها عادت لتسمع الموعظة من جديد .
تلك الموعظة التي سمعتها في الكنيسة القائمة في
مكان ما من شرق ناشفيل .
وحين راحت تحكي عن الطقوس ، رحت انا افكر ولأول مرة بالمدة
التي ستقضيها ايماجين في بيتنا.
وعثرت على نفسي أفكر :
لم تحصل على عمل بعد ولم تحصل على عاشق .
هذا لا يعني أنني لم اكن سعيداً لوجود ايماجين
ولا يعني أن نانسي كانت متحمسة لمجيئها اكثر مني
نحن نستقبل الضيوف من أقاربنا القادمين من الريف دائمًا
لو كان لدينا أطفال ، لاختلف الأمر .
لما كان هذا البيت الكبير يبدو خاوياً الى هذا الحد .
(أحسب أننا نحتفظ بالخدم ـ بينما تخلى الكثيرون عن هذه الظاهرة ـ لسبب واحد لا غير : أن نملأ البيت).
احياناً نستقبل العجائز من أقاربنا الذين يأتون من هوتونزمبيرغ
لتلقي العلاج في المستشفى أو العيادات .
أو زوجة اضطرت الى الانفصال عن زوجها التافه لفترة من الوقت.
(عادة يعود الزوجان الى هورتونزبيرغ معاً)
فاذا لم يكن الزائر من الاقارب ،
فانه يكون صديقاً من أيام الدراسة. أو صديق حضر عرسنا

لقد رحبنا بايماجين ودعوناها
لأن نانسي سمعت انها تعيش وحيدة
بعـد وفـاة جدتهـا .
ولأن أم ايماجين
اعتنت كثيراً بأم نانسي
قبـل أن تتوفى .
انه شيء من هذا القبيل .
ومن البداية شعرنا كم هي سعيدة
بوجودها هنا ، وكم هي مغرمة بأشياء نانسي .
هذا ما يشعرنا بالرضا عن وجودهم هنا ،
حين نراهم يستمتعون ويقدرون الحياة في بيت كبيتنا . ولكنني لا أعتقد
أن أياً منهم استمتع ببيتنا مثل ايماجين ،
ولم يحاول أحد منهم أن يسعدنا : انا ونانسي والخدم ايضاً
مثل ايماجين . كنا نراها احياناً تطوف بالغرف وتتأملها
ـ على الرغم من مرور أشهر على وجودها هنا ـ
وكانت تمرر يديها الكبيرتين الناعمتين على قطع الاثاث .
وكنا نشعر أن بيتها في هورتونسبيرغ وبيت جدتها يفتقران الى الاشياء الجميلة .
ذات يوم تألمنا كثيراً لحالها حين كسرت
مزهرية صينية ثمينة كانت نانسي
قد وضعتها في مكان مشمس في الردهة .
لم تكن الفتـاة قد رأتها من قبل ؛
حملتها بيـدها اليمنى القوية
لتتفحصها . شيء ما أفزعها
صوت ترامى من الخارج ، كما أعتقد . ربما سيارة مرت بسرعة ،
ربما أحد اولئك الفتيان. بغتة تحطمت المزهرية على الارض ،
راحت ايماجين تحدق الى الشظايا وهي تشد شعرها وتلوي
يديها كما لو أنها تريد أن تقتلعها من مكانها . كأنها عنق

دجاجـة .
لم اكن موجوداً . اخبرتني نانسي فيها بعـد .
قالت : على الرغم من أن الفتاة لم تذرف الدموع
فانها ـ نانسي ـ لم تر نظرة توحي بالذنب في أي وجه انساني
مثل تلك النظرة . وما قالته الفتاة كان أبعث على الدهشة
وكنا انا ونانسي نتذكر باستمرار ما قالته فيها بعد
صاحت :
ـ انني احتقـر يدي لما فعلته .
أتمنى لو استطيع معاقبتها
ينبغي أن احول دونها ودون عمل أي شيء نافع طوال أسبوع .
ذات مساء كنا نجلس على الشرفة
حين مر واحد من هؤلاء الفتيان بسيارته
وكان يقودها ببطء شديد ويُزمر
قلت لايهاجين : «لماذا لا تقفين وتلوحي له
لمجرد المتعة وحتى نرى ماذاسيحدث . لا أظن أن هؤلاء الفتيان شريرون»
قالت : «آه أنت لا تدري . انهم مجموعة من الشريرين .
انهم ليسوا مثل اولئك الفتيان من ناشفيل الذين تعرفونهم انت وابنة عمي نانسي»
التزمنا أنا ونانسي الصمت
لقد اكتشفنا أنها تريد أن تتعرف على فتيان ناشفيل
وبخاصة اولئك الذين نعرفهم .
وبدأنا ندرك ـ انا ونانسي معاً ـ
أن ايهاجين تملك أفكاراً مستحيلة التحقيق أنها لا تحب اشياءنا وحسب . ولكنها تحب حياتنا ايضاً .
وهذا يعني أنها ترغب في البقاء . وهذا أمر
مستحيل . الفوارق هائلة .
أعني أنها لن تستطيع أن تتغير .
انها متمسكة بمفهومها القديم عن

ما يجوز وما لا يجوز .
انها لا تزال ترفض أن تتزين
وترتدي ثيابها كيفما اتفق
ولا تزال تعتبر الزينة والأناقة خطيئتين
وهي لا تزال تعتقد أن المرء ينبغي ألا يقرأ سوى كتاب واحد (الكتاب المقدس)
أما الرقص والشراب فأمران يستحيل أن تفكر مجرد تفكير بهما .
وعلى الرغم من ذلك فقد أثرت طبيعة حياتنا
المرفهة فيها . كانت تشعر بالامان
والسعادة في بيتنا .
هـذا وضع مزعج
وشعرنا اننا مسؤولان عن هذا الوضع .
ولكن ماذا نفعل
لا نستطيع إلا أن نحاول مساعدتها في الوصول الى حياة خاصة بها .
هذي هي نيتنا الطيبة .
تقصيت عن هؤلاء الفتيان الذين يهاتفونها
والذين يمرون بالبيت ويزمرون . في ناشفيل
ثمة وسائل للتقصي عن الفتيان الغرباء
وهذا شبيه بالتقصي عن الاميركان في باريس او روما
فأنت تسأل اولئك الذين يتكلمون لغة وطنك
وهكذا فقد سألت عن هؤلاء الفتيان
واكتشفت انهم مجموعة من النهاريد
فقلت لنناسي أن ايهاجين قادرة على ترويضهم .
لا أدري ماذا حدث لي ولنناسي
اننا نحاول بكل جهدنا أن ندفع ايهاجين لمقابلة هؤلاء .
لا أدري لماذا كنا نلح عليها
ربما لأننا كنا نرى كدها
وليس ثمة سبب له ولا ضرورة

كانت تمضي الى مدرسة السكرتيريا كل صباح ،
وتطوي الارصفة بعد الظهر بحثاً عن عمل ،
ثم تعود الى البيت لتقوم بأعمالها : كالتنظيف وغسل الصحون الخ . .
وتبقى منشغلة بهذه الاعمال حتى منتصف الليل .
فجأة بدا بيتنا مزدحماً بوجودها .
ليس بالنسبة لنا وحسب وانما بالنسبة للخدم ايضاً .
سمعت الطاهي في المطبخ يقول لها ذات ليلة
« ينبغي أن تتعرفي الى شاب لطيف »
سألت ايماجين بوداعة :
ـ وهل هناك شاب بهذه الصفة ؟
لا أعتقد بوجود مثل هذا الشخص .
قال الطباخ :
ـ ما هذا الكلام ، اتعتقدين أننا لا نرى
هؤلاء الشبان الذين يمرون بسياراتهم من هنا ؟
قالت ايماجين :
ـ انهم حثالة . ولا أحد منهم يعرف معنى كلمة «بنت شريفة» .
قال الطاهي :
ـ اسمعوا هذا الكلام العجيب .
قال مدبر المنزل :
ـ انا أسمعها . وأنت تسمعها .
لكنها لا تسمعنا . انها لا تصغي إلا الى نفسها .
قال الطاهي :
ـ أليس ثمة شاب في مستواك ؟
قالت الفتاة المسكينة :
ـ أرغب في مقابلة شاب يعيش على مقربة من هنا .
كان هذا أقصى ما تستطيع أن تصرح به .
غادرت المطبخ ، وصعدت الى غرفتها .

وعلى الرغم من ذلك بدت وكأنها في هذه الأيام
سعيدة جداً معنا . حتى أنها باتت تغني وهي
تنظف وتمسح . كنا نسمع أغاني قديمة
تعلو على صوت الغسالة والمكنسة الكهربائية .
وكانت تعد لنا عشاء ممتازاً في امسيات الأحد
وأخيراً عثرت على وظيفـة .
أنهت تدريبها على أعمال السكرتارية
وعثرت على وظيفة . أين ؟ في نفس البناية
التي يوجد فيها مكتبي .
ولم يكن في هذا الاختيار ازعاج لي
فما كان علي سوى أن أقلها معي الى العمل في الصباح
ثم أعيدها معي مساء .

لكن ظهرت مصادفة أغرب من مصادفة مكان عملها المجاور لعملي .
اذ اكتشفت أن أحد هؤلاء الفتيان من هورتونزبيرغ ـ الذين
يتحرشون بها ـ هو عامل المصعد في بنايتنا .
وفتى آخر منهم كان المشرف على موقف سيارات
عمارتنا . ما كنت قد لاحظت من قبل
من هم اولئك الشبان الذين ينادونني بالاسم .
لكنني لاحظت في ما بعد أنهم يتحدثون إليها ايضاً
وينادونها باسمها . داعبتهـا
وتحدثت حول هذه المسألة متفكهاً
لكنني لم أبالغ في المداعبـة
كنت حريصاً على أن لا أفسد كل شيء .

ذات مساء قال الفتى الذي يشرف على موقف السيارات لايماجين وهو يفتح باب السيارة :
ـ جورج الذي يقف هناك ، يرغب في أن يقلك الى البيت
كان جورج فتى آخر من فتيان هورتونسبرغ

(وما كان يعمل في البناية او الموقف)
ولوح جورج بذراعه يحييني
قلت بإلحاح :
- لماذا لا تركبين معه يا ايماجين ؟
وبدون أن أتفوه بكلمة أخرى، وقبل أن يتاح
لايماجين أن تركب الى جانبي
صفق الفتى المشرف على الموقف باب السيارة
وانطلقت انا بسرعة
فأصدرت العجلات أنيناً مرتفعاً

في البيت قالت لي نانسي أنني ينبغي أن أخجل من فعلتي هذه
ولكنها لم تقل ذلك إلا بعد أن مرت ساعة على غياب ايماجين
أخيراً عادت حين كنا على وشك
الانتهاء من وجبة العشاء
سمعنا صوت باب سيارة يوصد
في الخارج .
تبادلت ونانسي النظرات وانتظرنا
اخيراً ظهرت ايماجين عند باب غرفة الطعام
رمقتنا بعين متسائلة
نظرت الى نانسي اولاً
ثم الى وجهي
حين قرأت في ملامحنا آيات السعادة
سعت الى مقعدها وجلست الى الطاولة
قرأت صلاتها
ثم أنشأت تتناول طعامها وكأن
شيئاً لم يكن .

منذ ذلك اليوم لم تستقل معي السيارة أبداً .

كان ثمة من ينتظرها بسيارته دائمًا
يزمر ويزمر كل صباح .
وثمة من يوصلها كل ليلة .
ولسبب أو لآخر كانت تشير عليهم أن
ينزلوها عند الباب الخلفي
كأن نزولها عند الباب الامامي خطأ .
كانت تدخل الى البيت من الباب الخلفي

وباتت تخرج مساء أيضاً
كلما سمعت بوق سيارة في الخارج
وبدا أن ذلك يحصل بالصدفة
لا بناء على موعد
كانت تطل من باب الصالة وتقول لنا
انها ذاهبة لتتنزه بالسيارة .
وعندما كنا نوافق متبسمين
كانت تتردد لوهلة كأنها
لتقرأ عيوننا وتتأكد
او ربما لتستمتع بما تقرأه في عيوننا
ثم تمضي
وتعود الى البيت بعد ساعة أو ساعتين .

بدا وكأنها باتت اكثر سعادة لكونها تعيش معنا
أكثر سعادة من قبل .
ولكن ثمة شيء تغير. لقد توقفت عن الترتيل .
كما أصبحت خرقاء شاردة ، تسقط من يديها
الاشياء في المطبخ ، وتتعثر بالاثاث حين تمشي
وقد تذمر الطاهي وشكى حين أسقطت
مطحنة اللحم مرتين وهي تحاول أن

تفكها عن الطاولة .
ومرة شحذت الفأس ـ أو حاولت شحذها ـ على آلة الشحذ
الخاصة بالسكاكين ،
وقد انثنت الآلة فأصر مدبر المنزل
على شراء آلة اخرى جديدة ،
حتى بلغ بها الشرود الى درجة انها
رمت مرة ملعقة من معالق نانسي الجيدة
وعثر الطاهي عليها في كيس الزبالة
ورمقتني نانسي بنظرة ذات مغزى
كأنها تسألني ما الذي ستفعله هذه
الفتاة المسكينةفي المرة القادمة .
ولاحظنا عصبيتها واضطرابها حين تجلس الى المائدة
وكيف تسقط شوكتها على الصحن
أو كيف تسكب شيئاً ما على السجادة .
ولاحظنا رعشة يديها
وكانت ترمقنا بنظرة من يتوقع توبيخاً
أو كأنها تتمنى أن نوبخها .
ذات يوم أسقطت تمثالاً صغيراً
فانفصل رأسه عن جسده
حملته الى نانسي :
الرأس بيد والجسم في اليد الاخرى .
كانت يداها متكورتين متوترتين
وهما تضمان القطع المهشمة
الى حد أن شرايينها انتفخت
وبدت مزرقة بينما
هي بيضاء عادة ،
فسارعت نانسي تدلك

يديها بحنان كأنها
يدا طفل كان يلعب في الثلج
وقالت لها أن لا تبتئس
وأننا لا نملك شيئاً مهمًا
أو باهظ الثمن .

وظلت الفتاة تتلقى مكالمات هاتفية في الليل
وباتت تتكلم بعض المقاطع
وعادة لم نكن قادرين على سماع أو فهم ما تقول
وحاولنا أن لا نتنصت . وكل ما استطعت سماعه
على الرغم من عدم تنصتي كانت كلمات من مثل
« هش يا جورج » أو
« لا تتحدث هكذا »
وأخيراً سمعتها نانسي تقول
« ليس لدي ثوب مناسب لهذا »
فما كان من نانسي إلا أن عرفت المناسبة
واشترت لها ثوباً مناسباً. ثوب يكشف
الظهر والذراعين .
لكن يبدو أن نانسي انفقت نقودها عبثاً
إذ رفضت الفتاة الذهاب الى أي مكان بثوب مثل هذا .
قالت نانسي دون مواربة :
ـ ولكن ما كنت لأشتري هذا الثوب لو لم أكن اعرف انه مناسب،
قالت ايماجين :
ـ ليس المهم ما تعتقدين انت انه مناسب . المهم ما هو مناسب
بالنسبة لجورج، وربما بالنسبة للاخرين ايضاً.
كانتا في غرفة الضيوف ، حيث تقيم ايماجين

وجلست نانسي على السرير المقابل للسرير الذي تجلس عليه ايماجين.

سألتها نانسي :
ـ جورج هذا . . انه لا يتصرف معك تصرفاً غير لائق ، اليس كذلك ؟
لأنه اذا كان يتصرف تصرفاً غير لائق . . فينبغي أن تمتنعي عن
الخروج معه . . او مع الاخرين .
قالت :
ـ انت تعرفين أني امنعه من هكذا تصرف يا ابنة عمتي .
سألت نانسي ذاهلة :
ـ ماذا تعنين ؟
رنت الفتاة الى يديها المطويتين في حجرها .
قالت :
ـ أقصد أنه يحب يدي .
ثم سارعت الى اخفاء يديها خلف ظهرها .
قالت :
ـ انهم جميعاً يحبون اليدين . . اذا لم يتح لهم شيء آخر .
ثم نظرت الى نانسي بنفس الطريقة التي نظرت
فيها الينا حين سألناها من الذي يكلمها هاتفياً
وكأنها تنتظر مثل هـذه الأسئلة .
ثم ، شأنها شأن المرات السابقة ، تمنح
معلومات اكثر مما تتطلبه الاسئلة .
« منذ البداية كانوا يتفوهون بكلام مثير للاشمئزاز
على الهاتف . اللغة ، الكلمات . لن تفهمي معناها
يا ابنة عمي » .
ثم وقفت بطريقة توحي لنناسي
انه آن الآوان لأن تتركها وشأنها .
لم تضف نانسى كلمة اخرى ، وانما
تركتها وسعت الى غرفتنا .
كانت مشدوهة الى حد أنها قضت نصف الليل

وهي تعرض علي ما قالته الفتاة
أو ما حاولت أن تقوله

بالطبع ، قررنا أن لا نتطرق الى الموضوع
ولكنا فوجئنا بها في اليوم التالي وهي تدلف الى الصالة
وقد ارتدت الثوب الذي اشترته نانسي
لا أعتقد انني استطيع أن أقول انها كانت ترتديه كثوب ،
الاصح أنها كانت ترتديه كثوب للنوم .
وبدا وكأنها لا ترتدي ثياباً تحته .
وكانت تنتعل خفين جلديين اسودين ،
ما كانت متزينة طبعاً ، اما شعرها فكان
كالعادة معقوصاً الى الوراء ، مربوطاً بعقدة .
وبدا وجهها ناصعاً نظيفاً ، وشعرها مهفهفاً .
وكشفت هذه الهيئة الجديدة التي لا عهد لها بها من قبل
عن جمالها الحقيقي لاول مرة .
توقعنا ما الذي ستقوله الآن .

قالت وهي تقرأ ملامحنا كعادتها :
ـ سأخرج .
نهضت نانسي ، ووضعت القطعة التي تطرزها جانباً
ولم تحاول التقاطها حين وقعت على الارض .
لا شك انها لاحظت ايضاً وبشكل مفاجىء ذلك الجمال الذي يجلل الفتاة .
بادرتها قائلة :
ـ ايماجين ، لا تخرجي مع جورج مرة أخرى ، ليس من الحكمة ان تخرجي معه .
وسعتا نحو الممر وقد طوقتها نانسي بذراعها .
قالت ايماجين :
ـ انني مضطرة الى الخروج .
في نفس الوقت ترامى صوت بوق سيارة من الخارج .

قالت :
ـ جورج ليس اسوأ من غيره .
لا بل هو أفضل منهم . بدأت أميل اليه .
صوت بوق السيارة بات ملحاً .
ـ انه ليس الفتى الذي اتمنى أن اخرج معه .
لكنني عاجزة عن النكوص الآن . وانت اشتريت لي الثوب .

بدا وكأن نانسي لم تسمعها :
ينبغي أن لا تذهبي .
لن أغفر لنفسي إن تركتك تذهبين
هذا المساء .
لكن الفتاة حررت نفسها من نانسي
وابتعدت . انتصبت في وسط الممر
والقت علينا عظة لم نسمع منها
مثلها من قبل :
ـ ليس لنا أن نغفر لأنفسنا . الله هو الذي يغفر لنا .
التفتت نانسي الي كالمستجيرة . وحين نهضت
قالت الفتاة باصرار لكلينا :
ـ اني ذاهبة . لا يمكنكما منعي .
وبدأ صوت البوق يترامى متصلاً رات ـ آت ـ تات ـ .
اومأت برأسها باتجاهه وقالت :
هكذا هو . لا يمكنكما ايقافي الآن .
انني بيضاء حرة وعمري واحد وعشرون .
هذا ما يقوله عني .
وصوت البوق متصل .
ولم نهتد الى كلمات نقولها لها .
لكن نانسي قالت :
ـ حسن . ولكن عليك أن تتدثري .

لا يمكنك الخروج هكذا في مثل هذا الطقس .
نادت الطاهية ، فلبت مسرعاً
(لا بد انها كانت تنتظر وراء الباب مباشرة)
اشارت عليها نانسي ان تحضر الوشاح القرمزي
وحدث هرج ومرج حين ركضت الفتاة الى المطبخ ،
والوشاح على كتفيها فكادت أن ترتطم
بمشجب المظلات ، ورأيت أن أفضل ما يمكن
أن أقوم به هو الجلوس مرة اخرى .
كانت نانسي والطاهية تتهامسان .
كان بوسعي أن أرى شفاههما تتحرك
وفجأة سمعت الأنين او الصيحة التي انطلقت من المطبخ
وملأت البيت .

خرجت عبر غرفة الطعام
لكن الطاهية وصلت قبلي عبر الباب الخلفي
قالت الطاهية انها سمعت الباب الخلفي يوصد بقوة .
لم اسمعه . قالت نانسي فيما بعد انها سمعت
صوت باب السيارة يوصد بقوة . سمعنا جميعاً
زمجرة السيارة وهي تندفع الى الخلف . سمعنا أنين العجلات
حين تراجعت السيارة الى الشارع وانفتلت لتنطلق
الى امام . لا شيء من هذا كله ذو اهمية .
لكن المرء يتذكر مثل هذا المشهد فيما بعد .
رأينا دماً منتشراً في كل ارجاء المطبخ .
وكانت الفأس ملقاة على الأرض
وبقربها خيط من الدم . أقبل الخادم
من القبو في نفس لحظة وصولي
ووصول الطاهي الى المطبخ .

جاء من الباب الخلفي .
رأى - طبعاً - ما رأينا ، لكنه رأى اكثر ،
تبعت عينيه اللتين نظرتا الى سلة الزبالة
ثم ركض الى الباب الخلفي
وترامى الى مسمعي صوت تقيؤه .

تبادلنا انا والطاهية النظرات
كأنما نتساءل من الذي سيلحق به اولاً .
أدركت أن هذه المهمة تقع على عاتقي
قلت للطاهية :
- لا تدعي السيدة نانسي تأتي الى هنا .
ورأيتها تعود الى الصالة ،
سعيت الى سلة الزبالة ،
دست على الفأس وصممت على أن القي نظرة .
حين القيت نظرة ، رأيت يداً بشرية
ولم ادرك انها يد إيماجين الا بعد
مرور عشر ثوان على ذهولي
وادركت ايضاً انها بترتها بالفأس .
وفعلت ما تتوقعون .
هرعت الى الممر الخارجي وعيناي لا تفارقان
خيط الدم . ثم عدت الى الداخل ،
جاوزت الخادم الذي ظل يتقيأ .
واتصلت بالشرطة من هاتف المطبخ .
أقبل رجال الشرطة بسرعة .

كان الفتى الذي زمر لايماجين قد تصرف بحكمة اذ سارع الى حملها بسيارته الى المستشفى
حالما اكتشف ما فعلته بيدها، وكانت فاقدة الوعي
وحين وصل الى الطوارىء كانت ايماجين قد قضت .

ولعل موتها كان في صالحها وصالح الجميع .
وهنأ الجميع الفتى
لكن رجال الشرطة اعتقلوه
مما اضطرني الى السعي نحو المخفر في الليل
ونجحنا في اخراجه في التاسعة من صباح اليوم التالي
كان مجرد شاب ريفي لا يفهم ما الذي
جرى بالضبط .
حملنا جثة ايماجين الى هورتونسبيرغ للدفن .
أقبل قس كنيستها الى مقبرة البلدة
وقام بالطقوس المحددة .
هو وغيره قالوا كلمات كثيرة لتعزيتنا
كانوا طيبين شأنهم شأن اهل القرى
وكانوا يمتدحون حسن ضيافتنا
لاقاربنا الذين يأتون الينا من البلدة
وقالوا أن ايماجين كانت دائماً فتاة غير سوية
حتى قبل أن تغادر البلدة لتقيم معنا .
وحضر أهل الفتى جورج الجنازة
وقد بذلنا ـ انا ونانسي ـ جهدنا لاقناعهم
بأن ابنهم لا يستحق اللوم .
كان بوسع من يرى والديه أن يعرف
أنه شاب ريفي لا يخلو من طيش
أتى الى ناشفيل بحثاً عن عمل
وانه لم يجد في ناشفيل من يراقبه ويرعاه وينصحه
لو كان له أقارب في ناشفيل لما كان طائشاً
الى هذه الدرجة ،
لكن لا يستطيع المرء أن يقول هذا
لوالديه ،
ليس اثناء الجنازة على الاقل .

ف . سكوت فيتزجرالد F. SCOTT FITZGERALD

- ولد ف . سكوت فيتزجرالد في سانت بول، ولاية مينيسوتا . وبدأ الكتابة مذ كان تلميذاً هناك .
- التحق بالجيش عام ١٩١٧ ـ الا انه لم ير فرنسا ـ، وكتب خلال إجازاته في تلك المرحلة من حياته .
- كتب فيتزجرالد خمس روايات كان أوّلها: «هذا الجانب من الجنة». «غاتسبي العظيم»، والتي قال النقاد انها، لوحدها، كفيلة بإحلال فيتزجرالد مكانة مهمة ضمن أهم كتّاب العصر . و«الجميل والقبيح» و«هادىء هو الليل» و«آخر عمالقة المال» ـ وهو عمله الروائي الأخير الذي لم يكتمل . .
- كما انه نشر خمس مجموعات قصصية منها «التصدع»، وهي عبارة عن مختارات من سيرته الذاتية .
- توفي ف . سكوت فيتزجرالد عام ١٩٤٠ .

AN ALCOHOLIC CASE حالـة إدمـــان

THREE HOURS BETWEEN TWO PLANES ثلاث ساعات قبل الاقلاع

من كتاب: The Lost Decade,

The Diamond as Big as the Ritz
Penguin Books. 1982.

ف . سكوت فيتزجرالد

حالة إدمان

(١)

«دعني ـ أز هـ ـ ب ـ أوه أرجوك ، الآن ، أرجوك . لا تعد للشرب ثانية ! هيا ـ أعطني القنينة . أخبرتك بأن أظل صاحية وأن أعيدها لك . هيا . إن كنت تبدو هكذا الآن ـ اذن ، كيف ستكون عندما تعود الى البيت؟ هيا ـ اتركها معي ـ سأُبقي لك نصفها في القنينة ـ أر ـ أرجوك . أنت تعرف ماذا قال الدكتور كارتر ـ سأظل صاحية وسأعطيها لك ، والاّ ، خذ شيئا منها ـ هيا ـ كما قلت لك ، فأنا جد مرهقة لأن أتعارك معك طوال الليل . . . حسنا ، إشربْ وأحش ذاتك الغبية حتى الموت» .

ـ أترغبين في قليل من البيرة ؟ . قال .

ـ لا ، لا أريد شيئا منها . أوه ، مجرد أن أفكر بأن عليّ رؤيتك ثملا من جديد . يا الهي !

ـ إذن سأشرب الكوكا كولا .

وجلست الفتاة على السرير تلهث .

ـ ألا تؤمن بشيء ؟ . سألت .

ـ لا شيء مما تؤمنين به أنت . . أرجوك . ستندلق .

إن الأمر لا يعنيها أبدا ، فكّرت ، لا يعنيها أمر مساعدته . وثانية عادا للصراع ، ولكنه بعد هذه المرة جلس ورأسه بين يديه لبعض الوقت ، قبل أن يعاود الكّرة من جديد .

ـ إن حاولت أن تستعيدها مرة أخرى فسأطرحها أرضا . قالت بسرعة . «سأرميها ـ على البلاط في الحمّام .

ـ إذن سأدوس على الزجاج المهشم ـ أو تخطين أنتِ عليه.
ـ إذن هيا وأفعلها ـ أوه، لقد وعدت ـ».

فجأة تجرعتها مثل قذيفة، تدفقت أسفل يدها وانزلقت مع ومضة من الأحمر والأسود، والكلمات: سير جالهاد، استقطار لويس الخامس عشر. قبض عليها من العنق وقذف بها من الباب المشرع على الحمّام.

تحولت الى قطع على الأرض، وبدا كل شيء صامتا لوهلة، وقرأت «ذهب مع الريح» على الأشياء الرائعة التي حدثت منذ زمن بعيد. بدأت تقلق من أن يذهب الى الحمّام واحتمال أن يجرح قدمه، وطفقت تتطلع من وقت الى آخر حتى ترى إن كان سيدلف اليه. كانت في أمسّ الحاجة الى النوم ـ آخر مرة نظرت فيها كان يبكي وقد بدا مثل يهودي عجوز قامت على تمريضه في كاليفورنيا. عليه أن يذهب الى الحمّام عدة مرات. لم تكن مسرورة، في حالة كهذه، طوال الوقت الاّ أنها تفكرت:

«أعتقد انني لو لم أحبه لما استطعت الاستمرار في هذه الحالة».

وبانبعاثة صحو فجائية نهضت ووضعت كرسياً أمام باب الحمّام. أرادت أن تنام لأنه أيقظها باكراً هذا الصباح لتجلب له الجريدة، ولم تعد للبيت النهار بطولهِ. أتت إبنة أخيه لرؤيته بعد الظهر، وبقيت هي تنتظر في الخارج، في الممر، حيث مجرى الهواء ولا سترة ترتديها فوق زيّها.

وبقدر استطاعتها عملت على إنامته. ألقت برداء على كتفيه فيما هو يترنح نحو طاولة الكتابة، وآخر وضعته على ركبتيه. جلست على الكرسي الهزّاز ولكنها ما عادت نعسة؛ كان هناك الكثير مما يجب إضافته الى الجدول البياني. وبخطوات ناعمة أثناء سيرها عثرت على قلم ودوّنت:

النبـض ١٢٠
التنفس ٢٥
الحرارة ٩٨ ـ ٩٨،٤ ـ ٩٨،٢

ملاحظـات:

ـ بامكانها تدوين الكثير:
حاول الحصول على قنينة «جن». رماها وتحطمت.
صححت لتُقرأ كالتالي:

أثناء العراك انزلقت وتحطمت . المريض صعب بوجه الاجمال.

بدأت تضيف كجزء من تقريرها : لم أبغ في يوم أن أعالج حالة إدمان، ولكن هذا لم يكن واردا. كانت تعلم أن بمقدورها إيقاظ نفسها الساعة السابعة وتنظيف كل شيء قبل أن تفيق ابنة أخيه. هذا جزء من اللعبة! ولكنها عندما جلست في المقعد شخصت الى وجهه، أبيض ومنهكا، وبدأت بعّد أنفاسه من جديد، متسائلة لم حدث هذا كله. كان لطيفاً جداً هذا النهار، رسمها على كامل رقعة الورق بكامل عريها لمجرد الفكاهة، وأعطاها لها. نَوَتْ أن تؤطرها وأن تعلقها في غرفتها. أحسّت ثانية بضغط معصمه النحيل على رسغها وتذكرت الأشياء البشعة التي تلفّظ بها، وفكرت كذلك بما قاله الطبيب بالأمس:

ـ أنت أطيب من أن تفعل هذا في نفسك.

كانت مرهقة ولا تريد أن تزيح قطع الزجاج عن أرضية الحمّام، لأنه فور انتظام تنفسه عزمت على أن ترتفع به الى السرير. ولكنها قررت في النهاية إزاحة الزجاج أولا، جاثية على ركبتيها، باحثة عن آخر قطعة، وفكرت:

«ليس هذا ما ينبغي عليّ عمله. كما ليس هذا ما ينبغي هو أن يكون عليه».

وفي النهاية وقفت وشخصت اليه. من خلال جانب أنفه الدقيق جاءها غطيط ناعم، كأنما يتنهد، من بعيد ولا عزاء له. لقد هزّ الطبيب رأسه بطريقة ما، وعلمت أنها الى جانب حالة صعبة حقا. وبالاضافة الى ذلك، كُتبَ على بطاقتها في الوكالة، كنصيحه من زميلاتها القديمات: «لا لحالات الإدمان».

قامت بكل واجبها، ولكن كل ما استطاعت التفكير فيه هو أنها حين كانت تتصارع معه حول الغرفة وبينهما قنينة «الجن» حدث توقف عندما سألها إن كانت قد جرحت كوعها بالباب، وأنها أجابت: «إنك لا تعرف ماذا يتكلم الناس عنك، بغض النظر كيف تقيّم نفسك» ـ لقد علمت أنه انقطع منذ زمن طويل عن الاهتمام بمسائل كهذه.

كان الزجاج قد تم جمعه كله ـ وعندما همّت بكنسه زيادة في التأكد، لاحظت أن الزجاج، بتشظيه، هو أقل من نافذة شاهدا بعضهما من خلالها للحظة. إنه لا يعلم عن أختها، و«بل ماركو» التي كادت تتزوجه، كما انها لا تعلم ما الذي دفعه الى هذا الدرك والانحطاط. هناك صورة له على منضدته مع زوجته الشابة وولديه، جميعهم في حالة ترتيب وجمال كما ينبغي أن يكون قبل خمس سنوات. انها بلا معنى تماما ـ في الوقت الذي كانت فيه تلف إصبعها بضمادة إذ جرحته بينما كانت تلتقط الزجاج، قررت أن لا تأخذ على عاتقها حالة إدمان مرة أخرى.

(٢)

الوقت في أول المساء التالي. بعض مهرجّي عشية عيد جميع القديسين قاموا بتهشيم جوانب نوافذ الباص فانتقلت الى قسم الزنوج في المؤخرة خشية سقوط الزجاج. بحوزتها شيك مريضها الّا انه لا توجد طريقة لصرفه في ساعة كهذه؛ هناك ربع دولار وبنس واحد في محفظتها.

اثنتان من الممرضات اللواتي تعرفهن كانتا تنتظران في صالة وكالة مسز هيكسون.

ـ ما نوع الحالة التي كنت ترعينها ؟

ـ إدمان ، قالت .

ـ أوه ، نعم ـ أخبرتني بذلك جريتا هوكس ـ كنتِ تعتنين بذاك الرجل رسّام الكاريكاتير الذي يعيش في «فورست بارك إن».

ـ نعم ، كنت ،

ـ سمعت انه دائم النشاط .

ـ لم يتصرف أبدا بشكل يزعجني. كذبتْ. «لا يمكنك معاملتهم وكأنهم مرتكبو جناية.

ـ أوه ، لا تنزعجي مني ـ لقد سمعت للتو انه حول المدينة ـ أوه، أنت تعرفين ـ انهم يريدون منك أن تلعبي معهم ـ.

ـ أوه ، اسكتي ، قالت ، مندهشة من تصاعد غيظها .

بعد لحظة خرجت مسز هيكسون، طالبة من المرأتين الانظار، ثم أشارت لها بأن تأتي الى المكتب.

ـ أنا يا فتياتي لا أحب أن أضعكن في حالات كهذه، بدأتْ: تلقيت مكالمتك من الفندق.

ـ أوه ، لم تكن سيئة، مسز هيكسون. لم يدر ماذا يفعل، كما انه لم يؤذني بأي شكل من الأشكال، كنت أفكر أكثر في تقديري عندك. كان في الحقيقة لطيفا طوال يوم أمس. رسمني . . ،

ـ لم أكن اريد إرسالك الى هذه الحالة، أشارت مسز هيكسون بإبهامها علامة رفض واستهجان الى بطاقات السجل: أنتِ تأخذين حالات مرض السِّل، أليس كذلك؟ نعم،

أرى أنك تأخذين. توجد الآن واحدة. . .

رنّ الهاتف متتابعا . استمعت الممرضة الى صوت مسز هيكسون يقول على وجه الضبط:

ـ سأعمل ما بوسعي . . ذلك عائد للطبيب . . هذا من حقي . . أوه، هالو، هاتي، لا، لا أستطيع الآن. اسمعي، هل لديك ممرضة جيدة تناسب مدمنين؟ هناك واحد في «فورست بارك إن» بحاجة لاحداهن. هاتفيني، ها؟

اعادت السماعة .

ـ ماذا لو انتظرتني في الخارج . ما طراز هذا الرجل، على أية حال؟ هل تصرف بطريقة بذيئة.

ـ أبعد يدي ، قالت ، لذا لم أستطع إعطائه الحقنة.

ـ أوه ، إنه معتّل، دمدمت مسز هيكسون. انهم ينتمون للمصحات. تلقيت حالة منذ دقيقتين تستطيعين خلالها أن تستريحي قليلا. إنها امرأة مسنة. . ،

رنّ الهاتف من جديد. «أوه ، هالو ، هاتي . حسنا، ماذا عن تلك الفتاة الكبيرة؟ ينبغي ان تكون قادرة على العناية بأي مدمن. . ماذا عن جوزفين ماركهام؟ أليست مقيمة في شقتك؟ . . دعيها تكلمني. ثم بعد لحظة وأحدة: «جو، أتمانعين بأخذ حالة رسام كاريكاتير مشهور، أو فنان، بغض النظر عن الأسماء التي يطلقونها على أنفسهم، في «فورست بارك إن»؟ . . لا ، أنا لا أعلم، لكن الدكتور كارتر على علم بالموضوع وسيكون هنا حوالي الساعة العاشرة.

كانت هناك فترة صمت طويلة، ومن وقت الى آخر تحدثت مسز هيكسون:

ـ نعم نعم . . طبعا، أنا أفهم وجهة نظرك. نعم. لكن هذه من المفترض ألّا تكون خطيرة. . مجرد صعوبة بسيطة. لم أرغب يوما بارسال فتيات الى فندق لأنني أعرف البذاءات التي يقوم بها هؤلاء الحثالة . . لا، سأعثر على واحدة، حتى في ساعة كهذه. لا بأس وشكرا. أبلغي هاتي انني آمل بأن الثوب. . . ،

علّقت مسز هيكسون السماعة وخطّت نقاطاً على مجموعة الأوراق المغرّاة أمامها. كانت امرأة في غاية الفعالية. عملت كممرضة وخاضت الأسوأ في هذه المهنة، وافتخرت

بذلك، وكانت مثالية. أُخضعتْ للمراقبة بعد أن عُلِّقَتْ عقوبتها. عانت من سوء المعاملة مثل أسير حرب وإهانات أول مرضاها، الذي ظن انها (شيء) يجب ان يؤخذ فورا الى معسكر خاص بايداع المواليد الذين خرجوا الى العالم قبل تكونهم الطبيعي!! ولخدمة العجزة. دارت فجأة حول المكتب.

- أي نوع من الحالات تريدين؟ قلتُ لكِ لديّ امرأة مسّنة لطيفة . . .

كانت عينا الممرضة البنيتان تشعّان بخليط من الأفكار - الفلم الذي شاهدته للتو عن باستر والكتاب الذي قرأه الجميع عن (فلورنس نايت إنجل) حين كنّ تلميذات تمريض. وزهوهن، وتمايلهن قاطعات الشوارع في الطقس البارد في كلية فيلادلفيا العامة، كم هو افتخارهن بغطاء رؤوسهن الجديد مثلما سيدات مرفهات في فروهن يدخلن قاعات الفنادق.

- أنا . . أنا أعتقد بأنني أحب أن احاول الحالة مرة أخرى. قالت من خلال تنافر جرس الهاتف. سأعود حالما لا تجدين أحدا آخر.

- ولكن قبل دقيقة قلت بأنك لن تأخذي على عاتقك أبداً حالة إدمان ثانية، وفي الدقيقة التالية تقولين أنك تريدين العودة اليها.

- أعتقد بأنني بالغت في صعوبتها. حقا، أنا أعتقد بإمكانية مساعدتي له.

- هذا راجع لك . لكن إن حاول لوي معصمك.

- لكنه لم يستطع ، قالت الممرضة. أنظري معصمي: لقد لعبت كرة السلة في كلية واي نيسبورو لمدة سنتين. أنا مؤهلة تماما للعناية به.

نظرت مسز هيكسون اليها طويلا .

- حسنا ، تمام . قالت . ولكن تذكري أن لا شيء يقولونه وهم ثملون هو ما يعنونه وهم في حالة صحو. لقد جربت ذلك، اتفقي مع أحد الخدم ممن تستطيعين الاستنجاد به، إذ لا يمكنك أن تحمّني - بعض المدمنين لطفاء وبعضهم الآخر غير ذلك، ولكن للجميع قابلية أن يكونوا نتنين.

- سأتذكر ، قالت الممرضة .

كانت ليلة غريبة وصافية عندما خرجت ، مصحوبة بتساقط ذرّات من مطر متجمد جعلت من لون السماء أزرق مسوّدا. كان الباص هو نفسه الذي أقلّها الى وسط المدينة، ولكن بات واضحا أن مزيدا من النوافذ قد تهشمت، كما ان السائق بدا هائجا وطفق

يتحدث عمّا سيفعله ويفعله إن قبض على أحد الصبية . عرفت أنه كان يتحدث عن مصدر الإزعاج ليس أكثر وبوجـه العموم ، تماما كما تفكر هي بازعاجات انسان مدمن . عندما رجعت الى الجناح في الفندق، ووجدته في وضع شديد الاضطراب والذهول . ودّت لو تزدريه وأن تأسف له في نفس الوقت .

نزلت من الباص ، وارتقت درجات الفندق، شاعرة بقليل من الصفاء بوحي من برد الهواء المعتدل . كانت تنوي الاعتناء به لأن لا أحد سواها يرغب بذلك . ولأن أفضل المؤهلات في مهنتها ينصّب اهتمامهن على الحالات التي لا ترغب بها سواهن .

دقّت على باب مكتبته وهي تعلم ماذا سيقول .

فتح لها بنفسه . كان مرتديا ثياب النهار ومعتمرا قبعة «ديربي» ـ ولكن بدون أزرار الحزام والربطة .

ـ أوه ، هالو . قال كأنما هي مصادفـة . سعيد لعودتك . استيقظت للتو وقررت الخروج . هل وجدت ممرضة ليلية؟ .

ـ أنا الممرضة الليلية أيضا ، قالت ، قررت المكوث أربع وعشرين ساعة عمل . قال بابتسامة من ينظر للأمر على أنه لا يقدّم ولا يؤخر:

ـ رأيتك تذهبين ، ولكن شيئا ما أوحى لي بأنك ستعودين . أرجوك ابحثي لي عن أزرار الحزام . من المفترض أن تكون إما في الصندوق الصغير أو . . .

تحرك قليلا في داخل ملابسه، ورفرف بأطراف أردانه ثم أدخلها في كميّ معطفه .

ـ ظننت انكِ قد تخليت عني . قال بشكل عَرَضي .

ـ ظننت ذلك أنا أيضا .

ـ إذا بحثتي على الطاولة ، قال ، ستجدين مجموعة كاملة من الكاريكاتير رسمتها وعرّيتك فيها .

ـ من تريد أن تقابل ؟ سألت .

ـ انه سكرتير الرئيس . قال . مضى عليّ وقت بغيض كي أستعد . كنت على وشك النكوص عندما دخلت . هلاّ طلبت لي شيئا من الـ «شيري»؟

ـ كأس واحدة . قالت بضجر .

ونادى من الحمّام :

ـ أوه ، أيتها الممرضة ، أيتها الممرضة ، يا نور حياتي، أين الزر الآخر؟

ـ سأضعه لك .

وفي الحمّام رأت الشحوب غير الطبيعي والحمّى باديتين على وجهه، وشمّت نكهة النعناع و«الجن» في أنفاسه.

ـ ستخرج قريبا ؟ سألت . سيأتي الدكتور كارتر في العاشرة .

ـ ما هذا الهراء ! ستنزلين وتذهبين معي .

ـ أنا ؟ استفسرت . بتنورة وكنزة ؟ تصور !

ـ اذن فلن أذهب .

ـ حسنا اذن ، إذهب الى السرير . هذا ما تنتمي اليه على أية حال . ألا تستطيع مقابلة هؤلاء الناس غدا؟

ـ لا ، بالطبع لا !

تقدمت نحوه ووصلت ناحية كتفيه ، عقدت له ربطة عنقه ـ هناك بصمة ابهام على قميصه بسبب الضغط حيث ثبت الأزرار، ثم اقترحت:

ـ لم لا ترتدي قميصا آخر، إن كنت ستقابل أناساً تحبهم ؟

ـ حسنا ، ولكنني أريد أن أفعل هذا بنفسي .

ـ ولماذا لا تدعني أساعدك ؟ قالت بسخط . لماذا لا تدعني أساعدك بارتداء ملابسك؟ لم هي الممرضة؟ ـ ما المفيد الذي أعمله؟

جلس فجأة على طرف طاولة الزينة .

ـ حسنا . . هيا اذن .

ـ والآن لا تمسك بمعصمي . قالت ، وبعدها : اسمح لي .

ـ لا تقلقي . أنا لا أؤذي . سترين بعد دقيقة .

تناولت المعطف ، والصديري ، وقميصاً آخر. ولكن قبل أن تتمكن من رفع قميصه الداخلي الى رأسه مشى متثاقلاً نحو سيجارته ، معّوقاً ايّاها .

ـ والآن انتبهي الى هذا ، قال . واحد ـ اثنان ـ ثلاثة .

رفعت القميص الداخلي ، وفي نفس الوقت صوّب سيجارته المشتعلة ناحية قلبه مثلما طعنه خنجر فانسحقت وانتثرت باتجاه قطعة نحاسية على ضلعه الأيسر وكانت بحجم دولار فضي ، وقال: آخ! في الوقت الذي ارتعشت فيه شرارة شاردة سقطت على معدته .

هذا أوان الغليان الكبير ، فكّرت . كانت تعلم بوجود ثلاث ميداليات من الحرب

في صندوق المجوهرات الخاص بـه، ولكنها خاطرت بنفسها في عدة أمور: مرض السل أحدها، ومرة شـيء أسوأ. ومع هذا لم تكن تعلم عن السّل وما غفرت للطبيب عدم إعلامها.

ـ أمضيتَ وقتا عصيبا مـع هذا ، كما أعتقد. قالت بهدوء وهي تمحو أثر الشرارة. ألا تنطمس أبدا؟

ـ أبدا . إنها مطلّية بالنحاس .

ـ حسنا ، إن هذا ليس عذراً لما تفعله بحق نفسك .

سلّط عليها نظرة عنيفة من عينيه الكبيرتين البنيتين ـ نظرة غير مبالية ـ نظرة بها الكثير من التشوش. كأنما أشار لهـا، عبر ثانية واحدة، إلى نيته في أن يموت، وبالنسبة لكل تدريبها وخبراتها فلقد أيقنت انها عاجزة عن أي استنتاج غير هـذا. عاجزة عن أي فعل عكس هذه الدلالة. وقف، مستنداً على حافة المغسلة مركزاً عينيه على نقطة في المكان أمامه.

ـ والآن ، إذا كنت سأبقى هنا، فانك لن تشرب أي نوع من الكحول. قالت.

وعرفت فجأة أنه لم يكن يتطلع الى هـذا ، أو يريده. كان ينظر الى الزاوية حيث ألقى بالقنينة الليلة الماضية. حدّقت في وجهه الجميل، كان مرهقاً ومتحدياً ـ تخشى أن تستدير نصف خطـوة لأنها تعرف أن الموت كامن في تلك الزاوية حيث كان ينظر. عرفت الموت ـ سمعته، وتشممت رائحته الجلية، ولكنها لم تكن قد شاهدته قط قبل أن تدخل على أحد، وعرفت أن هذا الرجل رأى الموت في زاوية حمّامه؛ إنه يقف هناك ناظراً صوبه حين صفعه سعال ضعيف تلاه بصاق مسحه ببنطاله. طقطقت البصقة كشاهد على آخر إيماءة أبداها في حياته.

حاولت أن تعبّر عن هذا لمسز هيكسون في اليوم التالي :

ـ إنـه ليس مثل أي شيء يمكن ضربه ـ مهما حاولت وبذلت من جهد. كان بمقدوره أن يلوي معصمّي الى ان يوترهما، وهذا مما لا يشكّل أهمية لي. المسألة هي أن ليس بمستطاعك، حقيقة، تقديم المساعدة لهم. وهذا ما يثبط الهمّة ـ إن كل هذا من أجل لا شيء.

ف . سكوت فيتزجرالد

ثلاث ساعات قبل الاقلاع

كان ظرفاً يصعب السيطرة عليه، الاّ ان «دونالد» كان في تمام التأهب، حيوياً، ويشعر بالملل، مع احساس بالتبرم حيال انجاز العمل. انه يعد نفسه بمجازاة ما، ربما.

عندما حطّت الطائرة خطا خارجاً في ليلة صيفية، وتقدم نحو مطار احدى قرى الهنود الحمر المعزول، متفكراً بطريقة اصطلاحية كأي هندي عجوز «انها محطة للقطار».

لم يكن يدري إن كانت ما تزال حية، او انها تقطن في هذه البلدة، او ما هو اسمها الحالي. وبانفعال قوي بحث في دليل الهاتف عن اسم أبيها الذي قد يكون قد توفي، في مكان ما خلال العشرين سنة هذه.

رقم القاضى هارمون هولميس ـ هيل سايد **٣١٩٤**.

أجاب صوت نسائي على سؤاله عن الآنسة نانسي هولميس :

ـ إن نانسي هي السيدة والتر جيفورد الآن. من الذي يتكلم؟. لكن دونالد أعاد السماعة دون ان يجيب. لقد وجد ما يبحث عنه، وليس أمامه سوى ثلاث ساعات. لم يتذكر شيئاً عن والتر جيفورد، وكان ثمة لحظات من التردد بينما هو يمعن النظر في دليل الهاتف. . ربما تكون قد تزوجت خارج البلدة.

رقم والتر جيفورد ـ هيل سايد **١١٩١**. تراجع الدم في اطراف أصابعه.

ـ هالـو ؟

ـ هالـو . هل السيدة جيفورد موجودة؟ انني صديق قديم .

ـ أنا السيدة جيمورد .

لقد تذكر ، ومع هذا تذكر ، ذاك السحر الظريف في الصوت .

- انني دونالد بلانت . لم أرك مذ كنت في الثانية عشرة من عمري .

- أووه ! كانت الملاحظة تعبيراً عن الدهشة بكل ما في الكلمة من معنى ، وفي غاية التأديب، لكنه لم يستطع ان يميز فيها فرحاً أو اي اشارة استذكار!

- دونالد ! أضاف الصوت . وفي هذه المرة كان يتخلله ما هو اكثر من معاندة الذاكرة.

- أين أنت ؟

- انني في المطار . فقط لساعات قليلة .

- حسناً ، تعال لتراني .

- أمتأكدة انك لن تأوي الى الفراش ؟

- كلا بحق الملائكة ! وشرحت : «كنت جالسة احتسي جرعة شراب لوحدي . ما عليك الّا ان تخبر سائق التاكسي. . . » .

قام دونالد بتلخيص المحادثة وهو في طريقه اليها . لقد أرست كلماته (في المطار) لحالة انه أوجد لنفسه موقعاً بين البورجوازية العليا ، كما ان وحدة نانسي قد تشير الى انها باتت امرأة غير جذابة وبدون أصدقاء . ثم ان زوجها ربما يكون بعيداً أو نائماً و ـ لأنها كانت على الدوام فتاة عمرها عشر سنوات في أحلامه ـ ، فان حديثها عن جرعة الشراب قد صدمته . لكنه عاد وشجع نفسه بابتسامة :ـ انها قريبة جداً من الثلاثين .

وعند نهاية منعطف شاهد امرأة صغيرة بشعر داكن تقف بعكس اضاءة الباب ، وفي يدها زجاجة . انها ماثلة بكامل تجسمها . خرج دونالد من سيارة التاكسي ، قائلاً :

- السيدة جيفورد ؟

استدارت نحو الضوء وحدقت بعينين واسعتين وكأنها تكتشفه ثم تكسرت بسمة عبر علامة حيرة .

- دونالد . . انه أنت . . جميعنا تغيرنا هكذا ، أوه ، ان هذا لملاحظ وواضح !

وعند دخولهما للمنزل كان صوتهما يجلجل كالجرس بكلمات «كل هذه السنين» ، وأحس دونالد بشيء يغوص في احشائه . لقد تم استرجاع مقطع من مشهد لقائهما الأخير ـ عندما تجاوزته على الدراجة ، مخلّفة ايّاه كالقتيل . وكأثر من خوفه أن لا يجد شيئاً يقولانه . وباندهاش ، لاحظ دونالد ان من المحتمل ان تكون هذه الساعة طويلة وخاوية ، فغاص في ما يقرب اليأس .

ـ كنت دائما انسانة محببة . لكنني صدمت قليلاً إذ وُجدتك تتحلين بكل هذا الجمال .

وكان لما قاله تأثيره ، إذ ان الالتفات الفوري لتغيرها الملحوظ، والمجاملة الواضحة الجسورة، أحالتهما الى غريبين شغوفين بدلاً من صديقي طفولة مرتبكين .

ـ أترغب بجرعة شراب ؟ قالت . «لا ؟ أرجوك لا تظن انني بت سكّيرة في السر، ولكن هذه ليلة مقمرة جميلة . كنت انتظر زوجي لكنه خابرني بأنه سيتغيب يومين آخرين . انه لطيف جداً، يا دونالد، وفي غاية الجاذبية، من طرازك ونمطك .

واستطردت : وأعتقد انه مغرم بشخص ما في نيويورك . . وأنا لا أعرف» .

ـ يبدو ان هذا مستحيل بعد رؤيتك . أكّد لها : «لقد تزوجت لمدة ست سنوات، وكان هناك من الوقت ما يكفي لأن اعذب نفسي بهذه الطريقة . وبعدها، ذات يوم، قمت بطرح الغيرة خارج حياتي الى الأبد. كنت سعيداً لهذا بعد ان ماتت زوجتي، إذ تركت ذكرى في غاية الثراء . ليس من شيء قاس أو متعثر يستحق أن نفكر فيه» .

نظرت اليه بانتباه ، ثم قالت بحنان كما خاطبها هو :

ـ آسفة جداً . وبعد انقضاء لحظة :

ـ لقد تغيرت كثيراً . أدر رأسك . انني اتذكر قول أبي : هذا الصبي يملك دماغاً .

ـ لا بـد انك ناقضتيه في هذا .

ـ كنت مقتنعة . حتى ذاك الوقت كنت اعتقد ان لكل انسان دماغاً . ولذا فان جملته محفورة في ذاكرتي .

ـ وماذا حضر في ذاكرتك أيضا ؟ . . سأل مبتسمًا .

نهضت نانسي فجأة وسارت لمسافة قصيرة .

ـ آه ، الآن ، ثم وبخته لائمة : «هذا ليس عدلاً ! افترض انني كنت فتاة طائشة .

ـ لا لم تكوني طائشة . قال معانداً : وأنا سأتناول قدحاً من الشراب .

وعند تقديمها له وجهها ما يزال شاخصاً عنه . أكمل حديثه :

ـ هل تفكرين بأنك الفتاة الصغيرة الوحيدة التي تلقت القبلات ؟

فسألت :

ـ هل تحب الموضوع ؟

تبدد تهيج جسدها الخاطف، ثم قالت : «ماذا بحق الجحيم ! لقد سعدنا كما في

الأغنية» .

ـ على مركبة الجليد .

ـ أجل ، وفي نزهة أحدهم ، ترودي جيمس . وفي أصياف الريف .

كانت عربة الجليد أكثر ما تذكره دونالد ، كذلك تقبيل وجنتيها الباردتين على القش في واحدة من الزوايا بينما كانت تضحك لمرأى النجوم البيضاء الباردة . الزوجان القريبان منهما كانا قد أدارا ظهريهما وراح هو يقبل عنقها الصغير وأذنيها ولكنه ماشارف شفتيها .

ـ وحفلة آل ماكس حيث لعبوا لعبة ساعي البريد ، ولم استطع ان اذهب بسبب مرض ابو دغيم . قال .

ـ أنا لا أذكر هذا .

«أوه . لقد كنت . . هناك . قبلّوكِ وجننت أنا غيرة كما لم أغر في يوم ما» .

ـ غريب . فأنا لا اذكر هذا . ربما أردت أن أنسى .

ـ ولكن لماذا ؟ . سأل مستثاراً : «كنا نموذجاً لصبيين بريئين . نانسي ، كلما كنت أحدّث زوجتي عن الماضي أقول لها انك الفتاة التي أحببتها تقريباً بذات درجة حبي لها . ولكنني اعتقد بأنني احببتك فعلاً بذاك المقدار . وعندما رحلنا عن البلدة حملتك في داخلي مثل قذيفة مدفع» .

ـ أكنت تحبني الى هذا الحد ؟ . قالت وقد اهتاجت .

ـ بربي هذا صحيح فأنا . . ، ولاحظ فجأة انهما كانا يقفان على مبعدة قدمين عن بعضهما ، وأنه كان يحدثها وكأنما يحبها هذه اللحظة ، وأنها تشخص اليه بشفتين منفرجتين وفي عينيها نظرة غائمة .

ـ استمر . قالت : فأنا خجلة لأقول اني أحب هذا . لم اكن ادري انك أُحبطت حينذاك . كنت اظن نفسي من أصيب بالاحباط .

ـ أنت ! . متعجباً : ألا تذكرين يوم أطحتِ بي في مخزن الخمور؟ . ضحك : مددتِ لي لسانك هازئة .

ـ لا أذكر على الاطلاق . يبدو لي انك ألقيت بنفسك عن عمد . وتلمست يدها ، بشيء من المواساة ، ذراعه .

ـ لدي ألبوم صور لم ألق نظرة عليه منذ سنوات . سأصعد وأعثر عليه .

جلس دونالد لمدة خمس دقائق موزعاً بين خاطرين : الأول ، الأمكانية المستحيلة

للتوفيق بين ذكريات اناس مختلفين حول نفس الحدث. والثاني، ان نانسي اثارته بطريقة مخيفة كأمرأة تماماً مثلما اثارته كطفلة. نصف ساعة كانت كفيلة بتطوير مشاعر ما كان يدركها منذ وفاة زوجته. . والتي لم يكن يأمل بادراكها ثانية.

جلسا جنباً الى جنب على أريكة، وفتحا ألبوم الصور بينهما. نظرت نانسي نحوه. . تبتسم، وفي غاية السعادة.

- أوه، إن هذا يدعو للفرح. قالت: الى درجة انك لطيف جداً، وانك تتذكرني بكل هذا المحبة. دعني أخبرك برغبتي معرفة هذا في ذلك الحين. كرهتك بعد أن رحلت.

- يا للأسف. قال بلطف.

- ولكن ليس الآن. أكدت له، ثم قالت باندفاع متهور: قبّلني وعوّض لنا عن. . .

- . . . إن هذا ليس لائقاً بزوجة طيبة. قالت بعد دقيقة. «أنا لا أذكر حقا انني قبّلت رجلين منذ أن تزوجت.

كان مستثاراً، ولكنه فوق كل شيء كان مأخوذاً. هل قبّل نانسي حقاً؟ أم أنها مجرد ذكرى؟ ام انها امرأة غريبة ترتعش وتجانبه النظر بسرعة، ثم تقلّب صفحة في الألبوم؟

- انتظري. قال: فأنا لا استطيع رؤية صورة في ثوان.

- لن نكررها ثانية. فأنا لا اشعر بالهدوء.

- تفّوه دونالد بواحدة من تلك المفردات المبتذلة التي تغطي كثيراً من الحقائق.

- ألا يكون مستهجناً ان نقع في الحب مرة أخرى؟

- كف عن هذا. ضحكت، ولكن بنفس متقطع: انتهى كل شيء. كانت لحظات، لحظات ينبغي أن انساها.

- لا تخبري زوجك.

- ولم لا؟ من عادتي ان أعلمه بكل شيء.

- سيتألم. ايّاك ان تخبري رجلاً عن أشياء كهذه.

- حسناً. لن أفعل.

- قبليني مرة أخرى. قال بطريقة غير متساوقة، لكن نانسي كانت قد قلبت صفحة وحدقت في واحدة من الصور.

- هذا أنت. هتفت: هنا!

ونظر . كان ولداً صغيراً بسروال قصير يقف على دعامة جسر، وفي الخلفية يبدو قارب صيد .

ـ أذكر . . . ، ضحكت متفاخرة : أذكر تماماً يوم التقاط هذه الصورة . اخذتها كيتي ثم قمت أنا بسرقتها منها .

وللحظة فشل دونالد في تبين نفسه في الصورة . ثم ، مقترباً منها، تيقن من هذا الفشل .

ـ هذا ليس بأنا . قال .

ـ بل أنتَ . كان هذا في منطقة فرونتاك . في الصيف حيث اعتدنا الذهاب الى الكهف .

ـ أي كهف ؟ أمضيت ثلاثة ايام فقط في فرونتاك . وعاد ثانية يحدق في الصورة المصفرة : وهذا ليس بأنا . هذا دونالد باورز . كنا نتشابه .

كانت نانسي تتفرس الآن فيه ، تجفل منه ، وتبدو انها ستنفلت بعيداً عنه .

ـ ولكنك دونالد باورز . تشككت . ارتفع صوتها قليلاً : لا لست أنت . أنت دونالد بلانت .

ـ اخبرتكِ في مكالمتي الهاتفية .

انتصبت على قدميها . وبدا وجهها وكأنها أصيبت بدوار رهيب .

ـ بلانت ! باورز! لا بد انني جننت . أهي الخمرة؟ اختلط عليّ قليلاً عندما رأيتك اول مرة . انظر اليّ، ماذا قلت لك؟

حاول ان يصطنع هدوء الرهبان، بينما هو يقلب صفحة في الألبوم .

ـ لا شيء على الاطلاق . قال ، واهتزت الصور الخالية منه أمام عينيه . فرونتاك ـ كهف ـ دونالد باورز ـ «لقد أحبطتني» .

خاطبته نانسي من الجهة الأخرى في الغرفة :

ـ لن تتحدث عن هذه القصة . قالت : فالقصص تشاع بسهولة .

ـ ليس هناك من قصة . اعترض ، لكنه تفكر : إذن فلقد كانت صبية فاسدة .

وبغتة شعر بغيرة دافقة من دونالد باورز الصغير . هو الذي طرح الغيرة جانباً من حياته وللأبد . لقد تخطى عشرين سنة عبر الخطوات الخمس التي زرعها في الغرفة، وكذلك وجود والتر جيفورد، الزوج المخدوع .

ـ قبّليني ثانية ، نانسي . قال، راكعاً على احدى ركبتيه بجوار مقعدها، واضعاً يده على كتفها. الاّ ان نانسي انسلّت مبتعدة.

ـ قلت انك ستلحق بالطائرة .

ـ لا يهم ، يمكنني تأجيلها . ليس هذا بمهم .

ـ اذهب أرجوك . قالت بصوت بارد : وحاول أن تتخيل كيف أشعر .

ـ ولكنكِ تصرفتِ وكأنك لا تتذكرينني . صرخ : وكأنكِ لا تتذكرين دونالد بلانت .

ـ أتذكر . أتذكرك أيضاً . . لكن هذا حدث منذ زمن طويل .

وتنامى صوتها قاسياً للمرة الثانية : رقم عربة الأجرة جريستورد ٨٤٨٤ .

حرك دونالد رأسه عدة مرات وهو في طريقه الى المطار. عاد الآن الى نفسه تماماً لكنه لم يستطع ان يستوعب التجربة. فقط عندما حلّقت الطائرة في الفضاء المعتم، وصار للمسافرين وجودهم المختلف عن ذاك في العالم على الأرض، رسم خطاً موازياً لخط سير الطائرة. عاش فوراً ولمدة خمس دقائق عمياء كمجنون في عالمين. تحول الى صبي في الثانية عشرة من عمره، وكرجل في الثانية والثلاثين، في امتزاج ووحدة سرمدية غير قابلة للذوبان أو الانحلال.

أضاع دونالد صفقة جيدة، كذلك، في تلك الساعات قبل الاقلاع الثاني. لكن طالما ان النصف الثاني من الحياة هو تقدم طويل في طريق التخلص من الأشياء، فان ذاك الجزء من التجربة غالباً ما يكون فاقداً للأهمية .

ريموند كارفر RAYMOND CARVER

ولد ريموند كارفر عام ١٩٣٩ . درس في جامعات ايووا، وتكساس، وكاليفورنيا . يتميز اسلوبه القصصي بالتهكم والمفارقات المضحكة . من مجموعاته القصصية : «عن ماذا نتكلم حين نتكلم عن الحب» و«الكاثدرائية» وله بالاضافة الى ذلك ثلاث مجموعات شعرية .

الأب The Father

من مجموعة : Will You Please Be Quiet, Please?
PICADOR, LONDON 1985

ريموند كارفر

الأب

كان المولود راقداً في « سـلة » قرب السرير ، مرتدياً قلنسوة ومنامة بيضاء. كانت «السلة» قد طليت حديثاً، وربطت عليها شرائط زرق، وحشيت بلحاف أزرق. تحلقت الأم ـ التي نهضت لتوها من السرير مضعضعة بعد الوضع ـ وبناتها الثلاث والجدة حول الطفل. وجعلن يراقبنه وهو يحدق، ويرفع قبضته نحو فمه. لم يبتسم أو يضحك، ولكنه كان يطرف بعينيه بين الحين والآخر، ويحرك لسانه الى أمام ووراء عبر شفتيه، حين تفرك له إحدى الفتيات ذقنه .

كان الأب في المطبخ ، وكان بوسعه أن يسمعهن يداعبن الطفل .

قالت فيليس وهو يداعب ذقنه :

ـ من تحب يا صغير ؟

واردفت قائلة :

ـ انه يحبنا جميعاً ، لكنه يحب والده بخاصة، لأن والده صبي أيضاً!

جلست الجدة على طرف السرير وقالت:

ـ انظروا الى ذراعه الصغيرة. إنها بدينة . وهذه الأصابع الصغيرة. مثل أصابع أمه تماماً.

قالت أمه :

ـ كم هو لطيف . صحته ممتازة . . طفلي الصغير.

ثم انحنت وقبلت الطفل على جبينه ، ولمست الغطاء الذي يغطي ذراعه. قالت:

ـ نحن نحبه ايضاً.

هتفت أليس :
ـ ولكن ، من يشبه ؟ من يشبه ؟
ودنا الجميع منه ، وتحلقوا حول السلة ليروا شبيه من هو !
قالت كارول :
ـ إن له عينين جميلتين.
قالت فيليس :
ـ كل الأطفال لهم عيون جميلة.
قالت الجدة :
ـ شفتاه تشبهان شفتي جده. انظروا الى هاتين الشفتين.
ـ قالت الام :
ـ لست أدري . . لست على يقين من . .
هتفت أليس :
ـ الأنف ! الأنف .
سألت الام :
ـ ماذا عن أنفه ؟
أجابت الفتاة :
ـ إنه يشبه أنف شخص ما .
قالت الأم :
ـ لا . لا أعرف . لا أعتقد .
غمغمت الأم وهي ترفع الغطاء عن يد الطفل ، وتفرد أصابعه :
ـ هاتان الشفتان . هذه الأصابع الصغيرة . .
ـ شبيه من هو ؟
قالت فيليس :
ـ انه لا يشبه أحداً .
واقتربوا من الطفل اكثر .
قالت كارول :
ـ أنا أعرف . عرفت . إنه يشبه والدنا !

ثم تأمل الجميع الطفل عن قرب .

سألت فيليس :

ـ ولكن أبي شبيه من ؟

رددت أليس :

ـ أبي شبيه من ؟!

وأرسل الجميع من فورهم بصرهم الى المطبخ حيث كان الأب يجلس الى الطاولة وقد أولاهم ظهره.

قالت فيليس وبدأت تنتحب :

ـ إنه لا يشبه احدا .

قالت الجدة وهي تشيح ثم تنظر مجدداً الى الطفل :

ـ هـش .

قالت أليس :

ـ أبي لا يشبه أحداً .

قالت فيليس وهي تجفف عينيها بوشاحها .

ـ لكن . . لا بد أن يشبه شخصاً ما.

وتطلع الجميع ـ باستثناء الجدة ـ الى الأب الذي يجلس الى الطاولة. التفت نحوهم، وكان وجهه أبيض وخالياً من أي تعبير.

في . س . نيبول V.S. NAIPAUL

- ولد في . س . نيبول في ترينداد عام ١٩٣٢ . قدم الى انكلترا في ١٩٥٠ من أجل دورة جامعية ، وبدأ الكتابة ، في لندن ، في العام ١٩٥٤ . ومن يومها لم يحترف عملاً آخر.
- طاف بلداناً عديدة منذ ١٩٦٠ ، حيث كتب على اثر ذلك : «الممر الوسطي» عام ١٩٦٢ مسجلا فيه انطباعاته عن المجتمع الكولونيالي في الهند الغربية وجنوب افريقيا .
وكذلك «منطقة الظلام» عام ١٩٦٤ ، كانعكاس وشبه يوميات لسنة أمضاها في الهند .
كما نشر عام ١٩٨١ كتابه : «بين المؤمنين» وهو تسجيل لرحلاته في ايران وباكستان وماليزيا واندونيسيا .
- من أعماله الأدبية نذكر : «شارع ميغيل» ١٩٥٩ ، و«السيد ستون ورفقة الفرسان» عام ١٩٦٣ ، و«علم على الجزيرة» - مجموعة قصص قصيرة - عام ١٩٥٧ ، أتبعه بـ«ضياع آلدورادو» ١٩٦٩ ، ورواية : «في بلد حر» ١٩٧١ . الخ . ومعظم هذه الاعمال حازت على جوائز تقديرية .

اليانصيب The Raggle

من كتاب : A Flag On The Island.
Penguin Books. 1983.

ف.س. نيبول

اليـانصـيب

انهم لا يدفعـون لمدرسي الصفـوف الابتدائية مرتبات كبيرة في ترينداد، لكنهم يسمحون لهم بضرب التلاميذ كيفما شاؤوا.

كان السيد هندز، استاذي، عشّاقا للضرب. كان يحتفظ على الرف بأربع أو خمس عصيٍ من خشب أشجار التمر الهندي. انها عصي تنفع للضرب. فهي لينة مرنة، تلسع لسعاً، وتدوم. عصي مقطوعة من شجرة التمر الهندي في باحة المدرسة. وكان السيد هيدز يحتفظ بحزام جلدي في خزانته. وكان يبلله في مياه الدلاء الموجودة في كل صف. وكانت تلك الدلاء مخصصة للاستعمال في حالة نشوب حريق.

ولو توقف الأمر عند هذا الحد لهانت المسألة، لكن المصيبة تكمن في أن السيد هندز شاب ورياضي. في حصص الرياضة كنت أراه وهو يخلع حذاءه اللامع، ويرفع سرواله الى أعلى، ليفوز بسباق المائة ياردة المخصص للأساتذة. كان يركض وبين شفتيه سيجارة، بينما تتراقص ربطة عنقه وتتطاير على كتفه. انها ربطة عنق خمرية: كان السيد هندز يعتني بلباسه. ولسبب أو لآخر، كانت هذه الأناقة تضاعف من رعبنا. كان يرتدي بذلة بنية، وقميصاً بلون الحليب، وربطة عنق خمرية.

وقيل أنه يسرف في شرب الخمرة في العطل الأسبوعية. لكن السيد هندز يعاني من نقطة ضعف: لقد كان فقيرا. كنا نعرف انه يعطي دروسا خصوصية لأنه بحاجة الى النقود. كان يدرسنا دروسا خاصة خلال الاستراحة الصباحية. ويدفع كل طالب عشرة «سنتات» مقابل هذا الدرس الخاص. فاذا لم يدفع أحدنا، حبسه الأستاذ وضربه حتى يدفع.

كنا نعرف أيضا أن السيد هندز كان يملك مجموعة صغيرة من الحيوانات والطيور

الداجنة يحتفظ بها في «مورفانت».

صحيح أن السيد هندز يضربنا، لكننا كنا نفاخر به. لذلك ما كان ثمة داع لتعاطف الطلاب سعنا، وشفقتهم علينا.

أقول «يضربنا»، لكنني لا أعني ذلك فعلا. اذ انه ـ لسبب لا أكاد أتبينه، لا في الماضي ولا في الحاضر ـ ما كان يضربني أنا. ولم يأمرني أبدا بتنظيف اللوح. ولم يضطرني الى مسح حذائه. لا بل كان يناديني باسمي الأول: «فيديادهار».

لكن هذه المعاملة المتميزة لم تلق استحسانا لدى بقية الطلاب. فكانوا يضطهدونني حين نلعب الـ«كريكت». وكان عزائي يكمن في انني لن أبقى في المدرسة سوى فصلين، ثم انتقل بعدئذ الى «كلية الملكة الملكية». كنت انتظر هذا الانتقال، لا حبا بالكلية ولكن كرها بمدرستي الحالية. لقد كانت معاملة السيد هندز المتميزة لي تشعرني بعدم الطمأنينة.

ذات صباح، أثناء درس من الدروس الخصوصية، أعلن السيد هندز أنه سيبيع عنزته باليانصيب. وأن على كل مشارك أن يدفع «شلن».

حين تكلم كان وجهه صارما، ولم يضحك أحد. جعلني اكتب أسماء كل طلاب الصف على ورقتين. وكان على كل من يرغب في أن يخاطر بنقوده أن يضع اشارة الى جانب اسمه. قبل أن تنتهي الدروس الخصوصية، كان ثمة خط الى جانب كل اسم من الأسماء.

أصبحت مكروها. بعض الأولاد كانوا يعتقدون أنه لا توجد عنزة ولا من يحزنون. وكلهم قالوا انه لو كانت ثمة عنزة، فانهم يعرفون مسبقا من سيربحها. وتمنيت أن يكون حدسهم صحيحا. اذ كنت أتمنى منذ زمن طويل أن أملك حيوانا، وقد راودتني فكرة امتلاك عنزة أحصل منها على الحليب. ولقد سمعت أن «ماني رامجون» بطل ترينداد في العدو، كان يعتمد على شرب حليب العنز وأكل الجوز.

في اليوم التالي كتبت أسماء الأولاد على قطع صغيرة من الأوراق. استعار السيد هندز طاقيتي، ووضع فيها الأوراق. ثم تناول ورقة وقال:

ـ أنت ربحت العنزة يا فيديا دهار.

ثم ألقى بقطع الورق الأخرى من فوره في سلة الزبالة.

عند الغداء قلت لأمي:

ـ لقد ربحت اليوم عنزة.

ـ أي نوع من العنز؟

ـ لا أدري . لم أرها .

ضحكت . أنها لا تصدقني . ولكن حين توقفت عن الضحك قالت:

ـ لطيف أن نملك عنزة . . اذا كان هذا صحيحا.

بدأت أشك ، أنا أيضا، في حصولي على العنزة. كنت أخشى أن أسأل السيد هندز ولكن بعد يوم أو يومين قال:

ـ فيديا دهار ، هل ستأتي لتأخذ العنزة أو لا ؟

كان يقيم في بيت خشبي متداع في «ودبرووك». ولما وصلت الى هناك، رأيته يرتدي بنطالا خاكيا قصيرا. وينتعل حذائين زرقاوين من الكانفاس. كان ينظف دراجته (بفانيلة) صفراء. دهشت. لم أتصور أن السيد هندز يمكن أن يلبس بنطالا قصيرا أو أن يقوم بعمل يدوي. وكان اكثر تحررا منه في الصف.

قادني الى الباحة الخلفية . رأيت العنزة . بيضاء بقرون كبيرة، مقيدة الى شجرة خوخ. وكانت الأرض المحيطة بالشجرة قذرة. بدت العنزة متجهمة وناعسة العينين، وكأنما أذهلتها رائحتها. ربتّ عليها. أغمضت عينيها، وواصلت المضغ. حين توقفت عن التربيت عليها، فتحت عينيها.

كل مساء ، حوالي الساعة الخامسة يمر رجل وعربة يجرها حمار، في شارع «ميغيل» حيث نقيم. كانت العربة ملأى بحشائش وأعشاب طازجة مربوطة في حزم صغيرة. وهي نظيفة الى حد يجعل المرء يعتقد أن هذه الأعشاب لم تنبثق من الأرض، وانما انتجها مصنع ما. لقد اصبحت العربة ذات أهمية لي ولأمي. بتنا نشتري خمس أو ست حزم يوميا، وكل حزمة تكلفنا ست «سنتات». لم تتغير العنزة. طلبت تبدو متجهمة وضجرة. بين الحين والحين كان السيد هندز يسألني وهو يبتسم عنها. وكنت أجيبه انها بحالة جيدة. ولكن حين سألت أمي متى سنشرب حليب العنزة، طلبت مني أن أكف عن اثارتها. وذات يوم علقت يافطة كتب عليها:

« خروف للخدمة ».

وثارت ثائرتها حين سألتها أن تفسر لي ذلك.

لكن اليافطة لم تبدل شيئا. إذ استمرينا في شراء حزم الأعشاب النظيفة. واستمرت العنزة في التهامها، ولم أر حليبا.

وذات ظهر عدت الى البيت فلم أر العنزة.

قال أمي والفرحة بادية على محياها :
ـ لقد استعارها شخص ما .
ـ متى سيعيدها ؟
هزت كتفيها.
عادت بعد الظهر . حين انعطفت الى شارع ميغيل، رأيتها على الرصيف خارج بيتنا. كان ثمة رجل لا أعرفه يمسك بحبلها ويزعق ويلوح بيده. انني أعرف هذا النوع من الرجال. انه لن يترك الحبل حتى ينتهي من خطابه. ثمة مجموعة كبيرة من الناس ينظرون من وراء نوافذهم. هتف بصوت مرتفع :
ـ ولكن لماذا تريدون أن تسرقوا الفقراء ؟
التفت الى المشاهدين من وراء النوافذ . قال :
ـ انظروا جميعا الى هذه العنزة .
كانت العنزة بسلبية تامة تمضغ ببطء، بعينين نصف مغمضتين.
ـ ولكن لماذا تستغلون الناس؟ أخي أحمق، وهو لا يعرف هذه العنزة. أما أنا فأعرفها. كل سكان ترينداد الذين يعرفون عن العنز يعرفون هذه. من «إيكاكوس» الى «مايارو» الى «تاكو» الى «شاغوراماس».
قال هذا معددا اركان ترينداد الأربعة .
ـ هذه العنزة لا تنفع لأي شيء. ولقد جعلوا أخي يدفع ثمنها.
بدت أمي متألمة ومنزعجة. دخلت الى البيت ثم خرجت وهي تحمل بضعة دولارات. أخذها الرجل وأعاد العنزة.
في ذلك المساء ، قالت أمي :
ـ اذهب وقل للسيد هندز أنني لا أريد العنزة هنا.
نظر السيد هندز الي بدهشة وقال :
ـ الا تريدونها ؟
أطرق مليا ، ومرر ظفره المقلم على شاربه. قال :
ـ اسمع ، أنا سأشتريها منك بخمسة دولارات.
بعته . واعتقدت أن كل شيء انتهى عند هذا الحد.
بعد ظهر يوم اثنين، وقبل شهر من نهاية فصلي الأخير، أخبرت أمي أنه سيجري سحب يانصيب جديد على العنزة. فتوترت، وخافت.

كنا نتناول الشاي يوم جمعة حين قلت لها بحياد :

ـ ربحت العنزة .

كانت تتوقع ذلك . قبل الغروب أقبل رجل وهو يجر عنزة السيد هندز، وناول أمي مبلغا من النقود وأخذ العنزة .

كنت أتمنى أن لا يسألني السيد هندز عن العنزة . لكنه سألني بعد اسبوعين قبل أن تبتدىء العطلة بأيام .

لم أعرف ماذا أقول .

لكن فتى يدعى «كنولي» ـ وهو من ضحايا السيد هندز المفضلين ـ أجاب بدلا مني وقال هامسا :

ـ أية عنزة ؟ لقد ذبحت وأكلت منذ زمن بعيد .

ثارت ثائرة السيد هندز وقال : هل هذا صحيح يا فيديادهار؟

لم أومىء ولم أنبس . ورن الجرس فأنقذني .

قلت لأمي ونحن نتناول طعام الغداء :

ـ لا أريد أن اذهب الى المدرسة بعد الآن .

قالت : ـ كن شجاعا .

لم أجادلها ، وذهبت

في حصة الجغرافيا ، قال السيد هندز كأنها نسى اسمي الأول :

ـ نيبول ، عرّف الجزيرة .

قلت : ـ الجزيرة قطعة من الأرض محاطة بالبحر من جميع الجهات .

قال : ـ جيد . تعال الى هنا .

ثم سعى الى الدولاب ، وتناول الحزام المبلل بالماء . وراح يضربني وهو يقول :

ـ أتبيع عنزتي ؟

وضـرب .

ـ أتقتل عنزتي ؟

وضـرب .

ـ لماذا هذا الجحود ؟

وضرب . وضرب . وضرب .

ـ لن تربح شيئا بعد الآن في اليانصيب .

كان هذا هو آخر يوم أذهب فيه الى المدرسة .

نادين غورديمر NADINE GORDIMER

- ولدت نادين غورديمر في جنوب أفريقيا حيث تعيش هناك حتى الآن.
- كتبت سبع مجموعات من القصص القصيرة، وثمان روايات.
- حازت على عدة جوائز أدبية، منها: جائزة بوكر BOOKER PRIZE ، والتقدير الدولي الفرنسي French International Award ، وThe Grand Aigle d'Or .
  كما حصلت على زمالة مجلس «نيل جن» للفنون الاسكتلندية عام ١٩٨١ .
- من أهم رواياتها: «عالم للغرباء». و«ابنة بيرغر». و«عالم البورجوازية المتأخر». و«ضيف الشرف». و«شركاء ليفنغستون». و«قوم جولي».
- من مجموعاتها القصصية: «عناق الجندي». «ليس من مكان مثله». «ستة أقدام من البلاد».

أسد على الطريق الحر السريع A LION ON THE FREEWAY

من كتاب: A soldier's Embrace
Penguin Books. 1982.

أسد على الطريق الحر السريع

افتـحْ !
افتـحْ !
ما الذي يدّق على باب النوم ؟
من هـذا ؟

●

إن أي قاطن ضمن مساحة ميل من حديقة الحيوان يسمع الأسود في ليالي الصيف . من الممكن أن ينخدع السائح . ها هي افريقيا؛ أخيرا؛ ورغم هذا يذهب الى سريره في العاصمة .

قبل انبلاج الضوء بقليل، حينما من المفترض أن يتكثف الظلام، وتكون الأجساد في أوطأ انحطاطها ويموت المسّنون في المستشفى على التلة ـ ينفتح الليل، حفرة سوداء بين النجوم، ويخرج منها لهاث عميق. قصيّ جدا، وعلى الفور، يكون في غاية القرب، في الأذن تماما، حيث أن صوت التنفس حميّمي دائما. يتنامى ويتنامى، اعمق غوراً، وسرعة، بصوت أكثر خشونة، حتى يحدث أنين عظيم، أنين يتعالى ويرتفع من قضبان القفص المنثنية ثم يعلق فوق المدينة كلها.

يتراجع بعدها ساقطا ، غائصا في البعيد ، متحولا الى لهاث مرة أخرى.

إنتظره ؛ سوف يسقط بكل الهدوء، بالكاد أن يكون خشناً بالقدر الذي يخدش الهواء في تجاويف الأذن. تماما حينما يبدو أنه يغوص بين مقطوعة شعرية والسكوت، يصير التنفس ثم يلفظ نفسا واحدا، يصمت، يؤازر الليل مثلما مغني يتأبط لحنا. ويبدأ من

جديد. يتعالى اللهاث ويصعد الى أعلى أعلى أسفل أسفل أسفل نحو ذاك التأوه المروع.

●

افتحْ !
افتحْ !
افتحْ ساقيك .

●

في جناح المسّنين حيث تشتعل الأضواء ينزعون الأنابيب من الأنوف وإبر المحلول الملحي من الأذرع ويسحبون الشراشف ليغطّوا الوجوه. شددت الشرشف فوق رأسي. أستطيع شمّ تنفسي قابضاً عليه هناك. الوقت متأخر جدا؛ الوقت مبكّر جدا للاستيقاظ. أحيانا تدور عجلات شاحنة الحليب المطاطية فوق هجعتنا. أنت تستدير. . .

جئـير ليست هي الكلمة. يتعلم الأطفال ألّا يستمعوا لأنفسهم، وهم يقومون بتمريناتهم عن الأفعال المختارة في مدرسة ابتدائية: «أكملْ الجمل التالية: القطة تـ. . . الكلب يـ. . . الأسد يـ. . .». وبغض النظر عمّن قرر هذا فإنه لا ينصت الى الشيء الحقيقي. ان الفعل مستوحى من أصل صوته بشكل غير صحيح تماما مثلما الوحوش المتخيلة حينما نحتها فنانو القرنين الثالث والرابع عشر نقلا عن ملاحظات المستكشفين الأوائل حيث جاءت بتشريحات ليست صحيحة. جئير ليست هي الكلمة المناسبة لصوت رجال عظام وهم يحتسون ويلفظون ساعات الليل الأخيرة.

إن أسود حديقة الحيوان لا تنفث أثناء النهار. انها تتثاءب؛ تنتظر ذبائحها الجاهزة كي تلقى اليهـا؛ محتفظة بمخالبها غير المستعملة مغلّفة بغلظِ باطن قوائمها الضخمة كالضمادة والثقيلة، تستريح الرؤوس المشعثة (الأسد الـمُتَخَيَّل يكون دائما بشعر كثيف)، تحدّق خلال إطباقة جفن طويلة وضيّقة بم يفكّر زائرو حديقة الحيوان وذلك بتلهف وجداني كأنما هو التوق.

●

أو في مرة كنا بالقرب من بحر البلطيق وصاح اللوياثان* مستهزئا من ضباب الليل

* اللوياثان : وحش بحري يرمز الى الشر في الكتاب المقدس ـ م ـ.

عند البحر. ولكن، هل أملك الشجاعة لفتح فمي الآن؟ أيمكنني أن أثق بأن تنفسي سيكون بمذاق حلو، في تلك الليالي العفنة؟

●

لا تفتقد الأسود الراحة الاّ في ليالي الصيف فقط. إن ما يرونه عندما يحدّقون أثناء النهار هو لا شيء. عيونهم مفتوحة غير أنهم لا يروننا ـ يمكنك التأكد من ذلك حين تلتقط عدسة التلميذ لقطة مقربة لازدراد الحمام حبّات الذرة عبر قضبان القفص. وخلاف هذا تبقى العيون جوفاء خالية من أي تعبير أو انفعال، تسجّل لا شيء. ولدت الأسود في حديقة الحيوان (تعرض الأشبال على الجمهور لأسابيع قليلة، ويسمح للأطفال بحملها على أذرعهم). لا يعـرفون شيئا عدا حديقة الحيوان؛ انهم لا يثيرون شفقتنا. تتلوى عضلاتهم في ليال معينة فقط ويبدأون باللهاث. تجيش خواصرهم وتنتفخ وكأنهم كانوا يعدون في حلكة الليل فتجفل المخلوقات الأخرى وترتّد مبتعدة عن طريقهم. تتصلب فكوكهم متوترة وتتحلب باللعاب كأنها انقذافات متدفقة استجابة لرائحة الفريسة. وأخيرا، ينهضون برؤوسهم الكبيرة جدا، الثقيلة، رؤوسهم الثقيلة، وها الفريسة بانت. ينتشرون في الضواحي. التواءات مروعة للأمعاء كأنما هي حالة ولادة: تأوهٌ ينتشر فوق المنازل بامتداد غيم واطيء مزيج من ضباب ودخان وذاك الألم النفسي المبّرح.

●

يا . . جاك، يا . . جاك، يا . . جاك، آه ـ سمعت ذلك مرة عبر حائط فندق. كنت وحيدا وسمعت. انزاحت الأغطية فوق رأسي وارتفعت الركبتان الى قبضتيّ. وبمشقة فتحت عينيّ على وسعهما. نمْ! عدْ للنوم! هذا أمر. **عدْ للنوم**.

●

لا بد أن السبب يكمن في الطريق الحر السريع الجديد الذي لا يسمعون ضجته كثيرا في الآونة الأخيرة. تمّر معابره الخمسة كالأنشوطات على نحو قريب، وتمتد في الوادي بين حديقة الحيوان والمنازل على ظهر التلال. يدوم الزحام هناك الى وقت متأخر. يبدأ باكرا. شاحنات. ناقلات نفط. تشرع بالتحرك قبل انبلاج الصباح. إن نسيج نثار المطاط الطالع بفعل الإحتكاك بالاسفلت يشكّل جزءا من ميزة سكون المدينة؛ بعد وقت لن يكون بوسعك سماع الكثير خلف هذا. ولكن يحدث هذا أحيانا ـ ربما بسبب من هبّة النسيم. ثمة فرصة لهبوب النسيم حتى الصباح، حتى في ليالي الصيف الراكدة. ليس

كافيا لتحريك الستائر. يحدث مجرى هواء، صغير، رائق وبعيد، الى الأذن مباشرة، إنه صوت اللهاث.

أو ربما الويسكي الجيد بعد العشاء. إن العُرف هو ألّا تشرب بعد العشاء. تطفر إشارة فيزيولوجية الى الدماغ: إفتحْ.

من هـذا ؟

شاحنة بطاطا تعبر إشارات المرور فتزلزلنا ست عشرة هزّة نحو الأعلى.

كنت راكداً في النوم، مُسَيَّجا به، في أولى الساعات الباكرة. أنت تنمو مثل شجرة وترتفع بالأرصفة؛ كل شيء ينهض ويتشقق، يتصدّع، وينطلق حرا.

●

من ذاك ؟

أو شيء ما يُقَرأ في الجريدة.. أجل. ليلة أمس.. هذه الليلة.. في الجريدة، الصفحة الأولى، المضربون السود في الشوارع، عمّال حوض السفن مسلحين بعصي ونبابيت. طفرة عارمة سوداء تصاحب آلاف الأرجل التي تلوح في المقدمة. تصاعد اللهاث مرتفعا، يمكن أن يكون في الحديقة أو تحت النافذة؛ ويجيء الصمت، وذاك التنفس الهابط. إنتظره: أنت في انتظاره. يثب على قائمتيه الخلفيتين، يتقدم، الرجاء لا تدس على العشب، لافتة في حديقة معتنى بها. توجهوا جميعهم مخترقين المدينة، ليسوا ببعيدين عن هذه المنطقة، خطواتهم في غاية الانتظام والتواتر، يلّوحون بعصيهم (لا حراب بعد الآن، لا بنادق)؛ بامكانهم تغطية أية مساحة، وفي الوقت المناسب. أُغلقتْ الحوانيت والمنازل في وجوههم حينما مرّوا. والصرخة التي صدرت عنهم عند وصولهم ـ تلك التي كانت مُجهَدة هي طريق الحرية التي ثنت قضبان القفص. نفذ منها، قريبا الى حد كأنما بات على الطريق الحر السريع للتو، منذهلاً، واجدا دربه، مديرا رأسه الرائع، أخيرا، ليطالب بها لم يره أبدا، البلاد التي هو ملكها.

كاترين مانسفيلد KATHERINE MANSFIELD

- كاتبة قصة انجليزية ولدت عام ١٨٨٨ في ولنغتون في نيوزيلانده. تلقت تعليمها في انجلترا حيث درست الموسيقى قبل ان تتوجه الى الأدب.
- تنقلت في معيشتها بين عدد من بلدان اوربا، الى ان استقر بها المقام في فرنسا.
- نشرت أولى مجموعاتها القصصية عام ١٩١١ تحت عنوان: «في نزل ألماني».
- من أعمالها: «حفلة الحديقة» و«الرسائل» و«دفتر قصاصات».
- توفيت في فرنسا عام ١٩٢٣.

A bad Idea فكرة سيئة

من كتاب: The Collected Stories of Katherine Mansfield.
Pengiun Modern. London

كاثرين مانسفيلد

فكــرة سيئــة

حدث لي شيء ما. شيء سيء. ولا أدري ماذا أفعل. لا أجد أي مخرجا لحياتي. أسوأ ما في الأمر أنني عاجز عن محورة هذا الشيء ووضعه في بؤرة واضحة محددة ـ اذا فهمتم ماذا أقصد ـ أعني أنني أجدني مشوشا. الأمور تختلط عليّ. ينبغي أن يعرف الجميع أنني لست من النوع الذي يتورط في مسائل مثل هذه. لست غلاما ولا مجرد فتى في كتاب. أنا. . . في أية حال، كنت أعرف من أنا وماذا حتى الأمس أما الآن، فانني أشعر بالعجز. نعم، هذه هي الكلمة، «العجز». ها أنا أجلس وأقذف الحجارة نحو البحر كطفل فقد أمه.

الآخرون تناولوا عشاءهم، وهم يستعدون الآن لاضاءة المصابيح. سوف يتوجب عليّ أن أعود أنا أيضا الى البيت. . عاجلا أم آجلا. أعرف ذلك بالطبع. الحق أقول لكم انني أتمنى لو كنت هناك الآن على الرغم من كل شيء. هل تصدقون ذلك؟ ماذا تفعل؟ أقصد زوجتي. هل رحلت أم أنها تجلس وتحدق الى الطاولة؟ يا الهي! حين أدرك أنني أستطيع أن أعوي مثل كلب. . هل تفهمون قصدي. . .

كان عليّ أن أدرك أنها كانت ثملة حين لم تستطع النهوض في الصباح لتناول الفطور. لقد أدركت ذلك بشكل أو بآخر. لكنني لم أستطع مواجهة ذلك. أحسست أنني اذا تجاهلت الأمر، واعتبرت أنها تعاني من صداع عادي وذهبت الى مكتبي وكأن شيئا لم يكن، فان الوضع سينفجر فور عودتي مساء الى البيت. لا. . ليست هذى هي المسألة. لقد شعرت مثلما أشعر الآن :ـ بالعجز. ماذا كان عليّ أن أفعل؟ أن أستمر. هذا كل ما استطعت أن أفكر فيه. وهكذا حملت اليها فنجانا من الشاي، وقطعتين من الخبز والزبدة، كما كنت أفعل دائما حين تصاب بالصداع. كانت الستائر مسدلة. وهي مضطجعة على ظهرها.

أعتقد أنها كانت تضع منديلا مبتلا على رأسها. لست متأكدا، لأنني لم أستطع أن أنظر اليها. انه شعور وحشي. قالت بصوت واهن:

ـ ضع الابريق على الطاولة . . . من فضلك .

وضعته على الطاولة وقلت:

ـ هل أستطيع أن أفعل شيئا لك ؟

قالت بصوتها الواهن :

ـ لا. سأكون على ما يرام بعد نصف ساعة.

ولكن صوتها. أنتم تعلمون. . لقد هزني . هرعت الى الخارج بسرعة. تناولت قبعتي وعصاتي، وانطلقت خارجا نحو عربة الترام.

هذا شيء غريب ـ لا داعي لأن تصدقوني ان لم تشاؤوا ذلك ـ في اللحظة التي غادرت فيها البيت، نسيت وضع زوجتي. كان صباحا رائعا. والشمس ترمي شعشعتها الفضية على البحر. حتى جرس عربة الترام رن بشكل مختلف. وكان أطفال مدارس يتزاحمون بين سيقان الناس وهم يحملون باقات من الزهور.

لا أدري لماذا شعرت بالفرح. لم أفهم السبب. شعرت بفرح لا عهد لي به. تلك الريح التي هبت بقوة أمس، لا زالت تهب قليلا. أحسست وكأنها ـ هي الأخرى ـ تمسني. نعم. استرجعت كل جزء منها. لو قلت لكم كيف أخذتني، فانكم لن تصدقوني. شعرت بطيش وتهور ـ أحسست بأنني لا أبالي ان تأخرت في الوصول الى المكتب أو لم أتأخر. وشعرت أنني أريد أن أخدم كل الناس. ساعدت الأولاد في الترجل من العربة. سقطت قبعة أحد الأولاد. وعندما تناولتها وأعطيتها له قلت:

ـ خذ يا بني .

حسن . هذا كل ما استطعت أن أفعله حتى لا أبدو أحمق.

ولازمني هذا الشعور وأنا في المكتب. بدا لي وكأنني لم أعرف زملائي من قبل. حين تقدم فيشر العجوز الى طاولتي ووضع حبات البازلاء الضخمة عليها وراح يداعبني كعادته، لم أشعر بالتوتر والانزعاج. لم أحفل بكونه معجبا بحديقته بطريقة غريبة. نظرت اليه وداعبته. ذهب، ثم عاد ليسألني ان كنت أعاني من صداع.

وهكذا كنت أشعر طوال النهار. في المساء اندفعت الى البيت مع جموع الناس العائدين الى بيوتهم. دفعت البوابة، ووجدت باب الصالة مفتوحا كالعادة، وجلست على

مقعد صغير لأخلع حذائي . كان خفاي هناك بالطبع . بدا لي وجودهما علامة تبعث على التفاؤل . وضعت حذائي في الدولاب الواقع تحت الدرج ، وخلعت معطف المكتب وسعيت الى المطبخ . كنت أعرف أن زوجتي هناك . انتظروا لحظة . الشيء الوحيد الذي عجزت عن السيطرة عليه هو ميلي الى التصفير كالعادة . «كثيرا ما أرقد وأفكر أن العمل شيء بشع فظيع . . . » .

فتحت باب المطبخ وقلت :

ـ مرحبا . كيف الحال ؟

ولكن ما ان قلت ذلك ـ ربما قبل أن أقوله ـ حتى أدركت أن الأسوأ قد وقع . كانت تقف الى الطاولة تعد السلطة . وحين رفعت عينيها وقالت :

ـ مرحبا .

صدمت . بدت لي مخيفة . لا أستطيع أن أصف منظرها بكلمة أخرى . بدت وكأنها كانت تنتحب طوال النهار . أدركت انها وضعت طحينا أبيض أو شيئا من هذا القبيل على وجهها لتمويه آثار الدموع . ولكن الطحين ضاعف من سوء هيئتها . أدركت أنني لاحظت آثار الدموع ، فسكبت كوب قشدة في وعاء السلطة ـ كعادتها ـ انها سريعة ، دقيقة . وعادت الى خلط السلطة . قلت :

ـ هل زال وجع رأسك ؟

لكنها لم تسمع . قالت :

ـ هل ستسقي الحديقة بعد العشاء أم قبله ؟

ماذا بوسعي أن أقول . قلت :

ـ بعد العشاء .

وسعيت الى صالة الطعام ، فتحت صحيفة المساء ، وجلست قرب النافذة المفتوحة ، متواريا خلف الصحيفة ، كما أظن .

لن أنسى جلستي هناك . الناس يروحون ويجيئون . يهبطون الشارع ، كل شيء يوحي بالهدوء . مر رجل وبقرات . حسدته . زوجتي تدخل وتخرج . ثم دعتني لتناول العشاء . فجلسنا الى المائدة . أعتقد أننا فعلنا ذلك . لا بد . لكننا لم نتبادل كلمة واحدة . ان ذلك أشبه بحلم الآن . ثم نهضت ، بدلت الصحون ، ثم أحضرت الحلوى . هل تعرفون أي نوع من الحلوى كانت ؟ طبعاً هذا لا يعني شيئا بالنسبة لكم . انها الحلوى التي أفضلها . النوع الذي تعده لي في المناسبات المميزة فقط . قشدة قرص العسل . . .

آدم ذات ظهيرة

إن ما يفرق بين قصص هذه المجموعة هو ذاته ما يجمع بينها، ونعني بحثها الدائم عن أقاليم جديدة للكتابة، وابتكارها المتنوع لطرائق وأساليب في القص تتناسب وجدة هذه الأقاليم.

ولقد قام المترجمان - وهما الأديبان الخبيران - بانتقاء هذه القصص من مراحل مختلفة مر بها فن القصة القصيرة خلال هذا القرن، فمن «أو. هنري» إلى «بورخيس»، ومن «فيتزجيرالد» إلى «كالفينو»، مما يمنح هذه المختارات ميزتين قلّ أن وجدا معاً في مختارات غيرها.

الأولى: أنها تغطي معظم خارطة القصة القصيرة العالمية من حيث النهج وزاوية الرؤيا.

والثانية: أنها تضم قصصاً لكتّاب تترجم أعمالهم لأول مرة إلى العربية، أمثال «إلسي ايشنجر»، و«نادين غورديمر»، و«روث جهابفالا»، و«بيتر تيللر» و «ريموند كارفر» وغيرها من الأسماء التي تحتل مركز الصدارة بين كتّاب القصة القصيرة في العالم اليوم.

أزمنة
للنشر والتوزيع
تلفاكس: ٥٥٢٢٥٤٤ ● ص. ب: ٩٥٠٢٥٢، عمّان ١١١٩٥ الأردن